المفارقة في الأجوبة المسكتة
في ضوء ما ورد بـ"العقد الفريد" أنموذجًا

دكتور/ رضا محمد أحمد
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة المنيا

مُلخّص البحث

لم تحظ (**الأجوبة المُسكتة**) بالدراسة في كثير من جوانبها الفنية الجمالية؛ ولذا هدف هذا البحث إلى الكشف – من خلال (كتاب المُجنبة في الأجوبة)، ضمن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه- عن زاوية جمالية تتعلّق ببنية المفارقة وأنواعها؛ ذلك أن هذا الفنّ حافل بمُعطيات المفارقة، التي ترتكز غالبًا على السخرية، والموقف العدواني، والمراوغة، ويهدف صانعها إلى توجيه رسالة ترميزية ذات نبرة تهكّمية، تتعدّى المعنى المباشر إلى دلالات عميقة ومعانٍ محجوبة؛ غالبًا ما يهتدي الطرف الأول (الضحية) إلى فكّ شفرتها، بناء على المُعطيات الدينية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية التي تعارف عليها المجتمع آنذاك.

وقد توصّل البحث بشقّيه – التنظيري والتطبيقي- إلى أن المفارقة من طرائق التعبير التي تجلّت في الأجوبة المُسكتة، ومارسها العرب قديمًا دون أن يعوا بمصطلحها؛ حيث إن مقتضيات الحوار وفحوى السياق تفرض استلهام مخارج من هذه المآزق الكلامية بجوابات تُشكّل كسرًا للتوقّع، وخروجًا عن المألوف، وتحقيق المفاجأة والسخرية للضحية، والدهشة للحضور الذين يُعدّون مُراقبين للمشهد.

وقد ولّد تنوّع المواقف وتباين الردود أنواعًا كثيرة من المفارقات، يُحدّد مُسمّاها السياق والأثر المُتحقّق عنها بالنسبة لأطراف المفارقة، ومن أنواع المفارقات التي يمكن استنباطها من عينة الأجوبة المُختارة: المفارقة اللفظية، ومفارقة السلوك الحركي، ومفارقة النغمة، والمفارقة الهزلية، والمفارقة الهجائية، والسقراطية، والرومانسية، ومفارقة التنافر البسيط، ومفارقة الادعاء الكاذب...وقد تحقّق من خلالها توازن أقام عِوج مائل الرأي، أو صحّح رؤية مغلوطة، أو كشف مستورًا، أو انتصف من جائر...

في إطار من تبادل الأدوار، واختلاف المواقع بين صانع المفارقة وضحيتها، وغالبًا ما يكون صاحب الردّ الثاني صانع المفارقة؛ في الوقت الذي يصير صاحب الرد الأول ضحيتها، الذي يقبل الردَّ على مضض، أو يصير أضحوكة لصانع المفارقة والمراقبين، وفي بعض الأحايين – بحكم سُلْطته– يأمر بنفي الطرف الثاني، أو حرمانه من العطاء... أو قتله. ولهذا فالمفارقة في جزء ليس بالقليل من الأجوبة المُسكتة داخل الحوار الواحد كانت مركبة تضمُّ أكثر من نوع.

والمفارقة في الأجوبة المُسكتة كان لها دور في إثراء النص وتماسكه، واتساع محمولاته الدلالية، ويُمسي المعنى في ظلّها أكثر إقناعًا وتأثيرًا وتكثيفًا مما لو صِيغ بطريقة مباشرة فيها رتابة وتقليدية قد لا تفي بمُراد صانعها.

المقدمة:

بُني الكون على التضاد، فالخير بجانب الشر، والضوء مُتعانق مع الظلمة، والفرج مُغلّف بالحزن، واليأس مُحاط بالأمل، ولولا المرض ما عرف الإنسان قيمة الصحة...وهكذا فالضد لا يظهره إلا ضده، والحياة مليئة بالمتناقضات التي تحمل في طياتها الكثير من المفارقات المضحكة حينًا، والمبكية أحايين...وقد أصبحت المفارقة جزءًا من عالمنا الذي نعيشه، كيف لا ونحن نتمثّل بالمفارقة اليومية التي تحدث نتيجة نشوء تفاصيل جديدة وأخرى غريبة[١]، وغدا العالم أجمع كأنه مسرح ذو مفارقة، والبشر جميعًا محض ممثلين[٢].

والمفارقة قد تكون فعلية عملية، كما أنها تكون قولية خطابية، يحمل الخطاب فيها دلالات غير مباشرة تتعدّى السطح إلى العمق؛ لإيصال رسالة إلى المتلقي، وهذا ما تحقّق في الأجوبة المُسكتة، التي تُمثّل – بأسلوبها الراقي في أغلب الأحيان– أدب الطبقات الراقية[٣]، ودارت في فلك السياسة وكل ما يتعلّق بنواحي المجتمع المختلفة، وحوت كثيرًا من المناحي الجمالية، وهي كما أشار ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) " أصعب الكلام كله مركبًا، وأعزه مطلبًا، وأغمضه مذهبًا، وأضيقه مسلكًا"[٤].

ولاحتواء هذا الفن على عناصر مُتعددة من بنية المفارقة: صانع المفارقة، وضحيتها، والرسالة التي تحملها المفارقة، والتضاد والنقض، والمراوغة، والسخرية، والمفاجأة؛ فقد حاول هذا البحث استجلاء هذا النمط الكلامي من خلال قراءة الأجوبة المُسكتة جماليًّا؛ للوقوف على بنية المفارقة وأنواعها.

---

[١] الهاشمي، أثير محسن: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، وزارة الثقافة، العراق، العدد (١٢)، ٢٠١٣م، ص٤٦.

[٢] ميويك، د.سي: المفارقة وصفاتها، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٧٧م.

[٣] ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد بن أحمد (ت٣٢٢هـ): الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيق: د. مي أحمد يوسف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦م.

[٤] ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، وإبراهيم الإبياري، وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج٤/٥.

الدراسات السابقة:

تعدّدت الكِتابات[١]، والرسائل العلمية[٢]، والأبحاث[٣] التي تناولت المفارقة في الأدب العربي تنظيرًا وتطبيقًا، وارتكز جُلّها على الشعر الحديث، وكان النص القديم الأقل حظًّا في هذه الدراسات، خاصة في مجال النثر[٤].

أما عن الأجوبة المُسكتة، فإن الدراسات عنها قليلة جدًّا [١]، ومنها:

---

[١] من الكتب الرائدة في المفارقة: ميويك، د. سي: المفارقة وصفاتها، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٧٧م، والعبد، محمد: المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م، وسليمان، خالد: المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩م. ويوسف، حسني عبد الجليل: المفارقة في شعر عدي بن زيد: دراسة نظرية تطبيقية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، وشبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، والوقاد، نجلاء حسين: بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري: دراسة أسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٦م...

[٢] منها على سبيل المثال: الخوجة، محمد إبراهيم خالد: المفارقة في أدب الجاحظ (البخلاء نموذجًا)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٢م، وعلوان، ملاذ ناطق: المفارقة في الشعر الجاهلي: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٤م، وعبد الرحمن، نعيمة خالد علي: المفارقة في الشعر الأندلسي (شعراء قرطبة نموذجًا): دراسة نصية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٧م، والعاطفي، أحمد عبد الله محمد: بناء المفارقة في شعر العصر المملوكي (ابن نباتة المصري نموذجًا)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٠م، وبن صالح، نوال: خطاب المفارقة في الأمثال العربية (مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م...

[٣] منها على سبيل المثال: قاسم، سيزا: المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة (فصول)، القاهرة، مج (٢)، ع(٢)، ١٩٨٢م، وإبراهيم، نبيلة: مجلة (فصول)، القاهرة، مج (٧)، ع(٣–٤)، ١٩٨٧م، وسليمان، خالد: نظرية المفارقة، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، الأردن، مج٩، ع٢، ١٩٩١م، والعزام، هاشم: المفارقة في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد: دراسة نصية: مجلة (جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها)، مكة المكرمة، مج (١٦)، ع (٢٨)، ٢٠٠٣م، ومحمود، هشام فاضل: المفارقة في الشعر...إشكالية المفهوم والرؤية، مجلة (كلية التربية، الجامعة المستنصرية)، العراق، مج١، ع٢، ٢٠١٠م، والياسين، إبراهيم منصور، والخلفات، خالد سليمان: صور من المفارقة في الرسالة الهزلية لابن زيدون، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، عمان، الأردن، مج (٩)، ع(٢)، ٢٠١٣م...

[٤] ينظر: العتوم، كامل يوسف: المفارقة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، عمان، الأردن، مج (٦)، ع(٤)، ٢٠١٠م، ص٣٩.

ومن خلال مراجعة الأدبيات التي تناولت المفارقة في النثر القديم بوجه عام؛ يتبيّن أنها دُرست في المقامات، والأمثال، وبعض الرسائل الفنية.

فاعور، منيرة محمد: بلاغة الأجوبة المُسكتة (الأسلوب الحكيم نموذجًا)، مجلة جامعة دمشق، مج (٣٠)، ع (٣-٤)، ٢٠١٤م.

فاعور، منيرة محمد: الحضور البلاغي في الأجوبة المُسكتة (الإيجاز- الكناية- حسن التحليل- الاقتباس)، مجلة (التراث العربي)، دمشق، سوريا، مج (٣٢)، ع(١٣٤-١٣٥)، ٢٠١٤م.

المقداد، محمود فارس: الأجوبة المُسكتة في العصر الأموي: محاولة تنظير وتأصيل لنوع أدبي نثري في مرحلة التأسيس، مجلة (التراث العربي)، دمشق، سوريا، ع(١٣٨-١٣٩)، ٢٠١٥م.

قاسم، محمد عبد الله: ذكاء البيان في الأجوبة المُسكتة في التراث العربي، مجلة (المعرفة)، وزارة الثقافة، سوريا، ع (٦٤٨)، السنة ٥٦، ١٤٣٨هـ -٢٠١٧م.

وبناء على ما سبق؛ يتضح أن المفارقة لم تُدرس في إطار فنّ الأجوبة المُسكتة، وهو ما يحاول البحث الحالي تناوله، فضلًا عن أن هذا الفن حافل بأنماط المفارقة المختلفة؛ لاعتمادها في الأعم على السخرية والتهكّم، وكسر أفق توقّع المحاور الأول (الضحية)، وارتكازها على الإيجاز، وتعدد دلالاتها، إضافة إلى قيمتها الإصلاحية والتربوية.

ولكن لماذا كانت المدونة كتاب (المجنبة في الأجوبة)، ضمن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه؟

لقد تعدّدت الكتب التي حملت عنوان (الأجوبة المُسكتة) قديمًا وحديثًا[٢]؛ لكنها لم تكن خالصة لهذا الفن، وإنما كانت " مجموعة من الأخبار والقصص والنوادر

---

[١] هناك رسالة دكتوراه للباحث: المالكي، خالد بن سعيد، بعنوان: الأجوبة المسكتة بين المقام والمقال إلى نهاية القرن الرابع الهجري: دراسة تداولية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض(بدون تاريخ)؛ لكن لم أستطع الحصول عليها حتى الآن.

[٢] منها على سبيل المثل لا الحصر:

ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد بن أحمد (ت٣٢٢هـ): الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيق: د. مي أحمد يوسف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦م.

العاني، محمد سعيد: الأجوبة المسكتة، مطبعة العاني، ١٩٨٥م.

سليم، محمد إبراهيم: الأجوبة المسكتة في أدبنا العربي، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م.

الحازمي، إبراهيم عبد الله: الأجوبة المسكتة، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض (في خمسة أجزاء)، ط٥، ١٤٢١هـ.

معروضة بشكل جوابات ذكية"[١]. أما ما يتعلّق باختيارات ابن عبد ربه فتكاد تكون خالصة لهذا الفن، الذي مهّد له بمقدمة نظرية لم يُسبق إليها، ومما جاء فيها" ثم إذا قيل له: أجب ولا تخطئ، وأسرع ولا تبطئ، تراه يجاوب من غير أناة ولا استعداد، يُطبّق المفاصل، وينفذ إلى المَقاتل، كما يُرمى الجندل بالجندل، ويُقرع الحديد بالحديد؛ فيحلُّ به عُراه، وينقض به مرائره، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبّدت عجاجة، فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر، ولا أعز من الخصم الألد، الذي يقرع صاحبه، ويصرع مُنازعه بقول كمثل النار في الحطب الجزل"[٢].

- **المنهج:**

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في شقه التنظيري؛ للتعريف بمصطلحات البحث، وتقسيماته، وكل ما يشمل جوانبه الموضوعية والفنية؛ أما الشق التطبيقي فينطلق من المنهج (التأويلي واستنطاق النص)، وقول ما لم يقله المبدع بناء على قرائن النص؛ فالنص مفتوح على قراءات وتأويلات مُتعددة.

- **تعريف المفارقة لغويًّا:**

بالوقوف على المعنى المعجمي للجذر (فرق) تنسال المعاني الآتية:

" الفَرْق: موضع المفرق من الرأس في الشعر، والفَرْق: تفريق بين شيئين فرْقًا حتى يفترِقَا ويتفرَّقا، وتَفَارقَ القوم وافترقوا: أي فارقَ بعضهم بعضًا...والفُرْقَان: كل كتاب أُنزل به فرَّق الله بين الحق والباطل..."[٣]. و"الفاء، والراء، والكاف أصيل صحيح يدلُّ

---

[١] المقداد، محمود فارس: الأجوبة المسكتة في العصر الأموي: محاولة تنظير وتأصيل لنوع أدبي نثري في مرحلة التأسيس، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، ع(١٣٨-١٣٩)، ٢٠١٥م، ص٢٨-٣١.

[٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥/٤. والمفاصل: الحجارة الصلبة المتراصفة، وقيل: ما بين الجبلين، والمفصل: كل مكان في الجبل لا تطلع عليه الشمس. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ): لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وزميليه، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، مادة (فصل)، ص٣٤٢٣، **عراه:** العراء: الناحية والمكان الخالي، وهو ما استوى من ظهر الأرض وجهر، والعراء: كل شيء أُعري من سترته، وعروة الدلو والكوز: مقبضه، وعروة القميص: مدخل زره. اللسان، مادة (عرا)، ص٢٩١٩-٢٩٢١، **والمرائر:** الحبال المفتولة على أكثر من طاق، واحدها مريرة، اللسان، مادة (مرر)، ص٤١٧٦، ولبد عجاجته: كفّ عما كان فيه. المعجم الوسيط، ط(٤)، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، مادة (عجَّ)، ص ٥٨٤.

[٣] الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السمرائي، د.ط، د.ت، ج٥/١٤٧-١٤٩.

على تمييز وتزييل بين شيئين...والفِرْق: الفِلْق من الشيء إذا انفلق..."[١]. و"فارقَ الشيء مفارقةً وفراقًا: باينه، والاسم: الفُرْقَة، والفَرْق: الفصل بين الشيئين"[٢].

ويُشير مدار المعنى اللغوي لمادة (فرق) إلى التبيين والإحكام والتوضيح والتفصيل، وإظهار التناقض والتضاد، وتشعّب الطرق والاتجاهات ووجوه الحديث المختلفة[٣]، والتمييز بين شيئين، أو أمرين، أو موقفين، لاسيما إذا كان هذان الأمران على طرفي نقيض[٤]. وهذه المعاني المعجمية تقترب كثيرًا من المعنى الاصطلاحي للمفارقة كما سيتبيّن.

- **تطوّر مفهوم المفارقة وتعريفها اصطلاحيًّا:**

مصطلح المفارقة يغلب عليه عدم الاستقرار، وقد استشعر بعض الباحثين هذه المشكلة؛ إذ ثمة اضطراب في التصور المفهومي والاصطلاحي للمفارقة في الساحة العلمية والمعرفية والثقافية والنقدية تجسّد في صور التداخل والاضطراب التي اشتغلت فيها المفارقة في حقول معرفية مختلفة في الأنثروبولوجيا، والدين، وعلم النفس، واللغة والأدب...[٥].

وبناء على هذا التداخل والتماهي؛ فإن المفارقة تستعصي على التعريف الواحد الذي يجمع اتفاق مفاهيم الأدباء والنقاد لها، أو يضم كل أنواعها ودرجاتها وأثرها في العمل الأدبي[٦]، وإزاء هذا التوسع في مُعطيات المصطلح؛ فإنه أتاح للعديد من

---

[١] ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، مادة (فرق)، ج٤/ ٤٩٣-٤٩٥.

[٢] ابن منظور: لسان العرب، مادة (فرق)، ص ٣٣٩٧-٣٤٠٢.

[٣] ينظر: توفيق، زكريا محمد: المفارقة في مقامات السيوطي (المقامة الدرية نموذجًا)، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، (الإصدار الرابع)، مصر، مج (١١)، ع(٢٠)، ٢٠٠٣م، ص٨٠، وابن صالح، نوال: خطاب المفارقة في الأمثال العربية (مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا)، ص٤٨.

[٤] ينظر: قريميدة، محمد سالم: مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم، المجلة الجامعة، تصدر عن مركز البحوث والاستشارات بجامعة الزاوية، ليبيا، مج (١)، ع(١٦)، فبراير، ٢٠١٤م، ص٧٥.

[٥] ينظر: الحياتي، محمود خليف خضير: المفارقة الدرامية في شعر أدونيس، مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، ع(١٤)، ٢٠١٥م، ص٥٨.

[٦] ينظر: سليمان، خالد: نظرية المفارقة، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، الأردن، مج٩، ع٢، ١٩٩١م، ص٥٧.

الدارسين استخدامه في موضعه وفي غير موضعه؛ حتى صار التشبيه الغريب (مفارقة)، والاستعارة البعيدة مفارقة...[١].

وهذا المصطلح في تطور مستمر، فقد نشأت المفارقة وتطورت في إطار فلسفي لدى الإغريق – فسقراط (ت٣٩٩ ق.م) أول من استعملها، ووُجد المصطلح لأول مرة في جمهورية أفلاطون (ت ٣٤٧ ق. ب)– وكانت تفيد عند الفلاسفة في القرن السادس عشر نوعًا من الأسلوب الهادئ الذي يستخف بالناس، ثم تطورت إلى نمط من السلوك الذي يقود إلى استعمال اللغة استعمالًا خادعًا، وتعدُّ نظرية (كانط) Kant في الفلسفة الحديثة هي التي فتحت المجال للبحث عن جذور المفارقة في العصر الحديث[٢].

وربما يرجع التباين التعريفي للمفارقة إلى أنها مصطلح قديم له تاريخ طويل، وعلى حد قول (نيتشه) Nietzsche، فإن " ما لا تاريخ له يمكن تعريفه"[٣]؛ ولهذا ذهب ميويك إلى أن مفهوم المفارقة غامض وغير مستقر، فكلمة "مفارقة" لا تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور سابقة، ولا تعني في قُطر بعينه كل ما يمكن أن تعنيه في قطر آخر، ولا في الشارع ما يمكن أن تعنيه في المكتب، ولا عند باحث ما يمكن أن تعنيه عند باحث آخر[٤].

وثمة بعض التعريفات الاصطلاحية التي أرى أنها تقاربت إلى حد ما في تقنين المصطلح، ومنها ما ذهب إليه (ميويك) Muecke من أن المفارقة تعني:" قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرًا واحدًا؛ بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيِّرة"[٥]. ولعل تعريف د. نبيلة إبراهيم (ت٢٠١٧م) لا يخرج عن هذه الدائرة من تعددية المعنى في بنية المفارقة، فهي عندها " لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى

---

[١] ينظر: محمود، هشام فاضل: المفارقة في الشعر... إشكالية المفهوم والرؤية، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، مج(١)، ع(٢)، ٢٠١٠م، ص١٥٧.

[٢] ينظر: عباس، سناء هادي: المفارقة الشعرية (المتنبي أنموذجًا)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م، ص٥–٦.

[٣] ميويك: المفارقة وصفاتها، ص١٩.

[٤] ينظر في تطور المصطلح: ميويك، ص ١٩ وما بعدها.

[٥] المرجع السابق نفسه، ص٤٣.

رفضه بمعناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي، الذي غالبًا ما يكون المعنى الضد"[١].

إذًا فبنية المفارقة بنية مراوغة لا تقدّم المعنى المباشر للمتلقي، وإنما تنحرف لغويًّا؛ مما يؤدي بالبنية إلى أن تكون مُتعددة الدلالات[٢]، وهي في الأساس تقوم على التضاد الدلالي أو الازدواج المعنوي؛ حيث إنها تحمل معنين متضادين أحدهما ظاهر، والآخر خفي[٣].

ومن معاني المفارقة أن يعبر المرء عن المعنى بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه، كأن يستخدم لهجة تدلّ على المدح ولكنه يقصد التهكم والسخرية. وهي كذلك وقوع حدث أو أمر مرغوب فيه؛ ولكن في وقت غير مناسب. وتتمثّل أيضًا في استعمال اللغة بطريقة تحمل معنيين، يكون أحدهما باطنًا موجهًا لجمهور خاص، ويكون الآخر ظاهرًا موجهًا للأشخاص المخاطبين أو المعنيين بالقول[٤].

والمفارقة بمنزلة الرسالة الترميزية التي تحتوي على إيماءات بين صانع المفارقة وضحيتها، أو العكس– كما سيتبيّن في فن الأجوبة المُسكتة– ويحاول المتلقي الوصول إلى المعاني الخفية التي يقصدها مُبدع المفارقة من خلال فكّ شفرتها البنيوية[٥].

والمفارقة أسلوب تعبيري بلاغي حجاجي في بلاغة الخطاب عمل على بناء النص هيكليًّا ودلاليًّا[٦]، من خلال التناوب بين المتحاورينِ في إطار الجواب المُسكت، الذي ينتهي بتفوّق أحد المتحاورينِ على الآخر.

---

[١] المفارقة، مجلة فصول، مج(٧)، ع (٣-٤)، سبتمبر، ١٩٨٧م، ص١٣٢.

[٢] ينظر: شبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٤٦.

[٣] ينظر: الياسين، إبراهيم، والخلفات، خالد سليمان: المفارقة في الرسالة الهزلية لابن زيدون، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، مج (٩)، ع(٢)، ٢٠١٣م ص٢١١.

[٤] ينظر: نظرية المفارقة، مجلة (أبحاث اليرموك)، مج(٩)، ع(٢)، ١٩٩١م، ص٥٧.

[٥] ينظر: السعدية، نعيمة: شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة، ع (١)، ص١.

[٦] إسماعيل، يوسف أحمد: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة (جيل) للدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر، ع(١٨)، أبريل،٢٠١٦م، ص٨٩.

ومن يتابع التعريفات المتعددة لمصطلح المفارقة، يقف على مجموعة من السمات المشتركة التي تجمع بينها، وهي:

- أن المفارقة تجمع بين معنيين: أحدهما ظاهر، والآخر خفي، وبمعنى آخر: تعدد الدلالة.
- اشتمالها على بنية التضاد والتنافر.
- احتواؤها على رسالة، وهو ما تودّ المفارقة أن تحقّقه في نفس صاحب البصيرة.
- صاحب البصيرة، وهو الطرف الذي تحقق رسالة المفارقة نفسها لديه، وينحصر في واحد أو أكثر من الأطراف الآتية: الباث– المتلقي– الضحية[١].
- الاعتماد على المفاجأة، والمراوغة، والسخرية والتهكم.

وهذه السمات المشتركة التي يمكن استنباطها من جلّ التعريفات الاصطلاحية؛ هي ذاتها العناصر المكوّنة للمفارقة، التي سيأتي الحديث عنها لاحقًا. ويمكن صوغ التعريف الآتي للمفارقة الذي يتبناه البحث:

المفارقة: كلمة، أو جملة، أو موقف يخرج عن أشكال التعبير المألوفة، ويسترعي الدهشة ويُثير الانتباه، ويكسر أفق توقّع المتلقي، ويحتمل أكثر من دلالة، مُعتمدًا على السخرية والتناقض غالبًا.

- **عناصر المفارقة:**

هناك عناصر عامة تُشكّل بنية المفارقة، ولا تخلو منها، وهي: صانع المفارقة– نص المفارقة (الرسالة)– الضحية– العنصر الكوميدي (السخرية والتهكم)– المفاجأة وكسر التوقع. وبيانها كالآتي:

١–صانع المفارقة:

المفارقة لعبة ذكية لا يجيد استخدامها إلا الأذكياء المبدعون[٢]؛ حيث يتسم صانع المفارقة بالذكاء وموسوعية الثقافة التي تجعله يتلاعب باللغة ويراوغ الضحية،

---

[١] ينظر: الرديني، رائد فؤاد طالب: المفارقة في شعر الجنوسة في القصيدة العربية المعاصرة: دراسة تطبيقية، مجلة (العربية والترجمة)، السنة الثامنة، ع(٢٧)، ٢٠١٦م، ص١٤.

[٢] ينظر: الياسين، إبراهيم، والخليفات، خالد سليمان: المفارقة في الرسالة الهزلية لابن زيدون، ص٢١١.

ويتظاهر بالبراءة[١]. كما أنه يمسخ الحقائق، ويفتعل المواقف، ويستحدث المفارقات التي تستدرّ الضحك. وصانع المفارقة غير مراقبها؛ لأن مفارقة صانعها مدبرة، أما مراقبها فمفارقته مشاهدة[٢].

٢-نص المفارقة:

يعتمد نصّ المفارقة على اللغة المُراوِغة التي تقول ما لا يتوقّعه المتلقي للوهلة الأولى، متجاوزة بذلك إمكانياته التي تقف عند حدود المعنى السطحي[٣]. كما أنها تُركّز على آلية التضاد والتنافر والازدواجية، ويتأتى تضادها من مسألة المُشترك ومراجعته بين المتحاورينِ في فن الأجوبة المُسكتة؛ بغية كشف الجديد المُضاد له. ويمكن أن ينشأ التضاد عن التجاوز، أو الخروج، أو الخَرق، أو الثورة، أو التمرّد، أو النقض، أو التكسير، أو التشقيق، أو التغيير، أو الخلخلة، أو الصدْم، أو غير ذلك[٤].

ويحمل نصّ المفارقة رسالة إلى المتلقي تعتمد على تعددية الدلالة، وتحميل القول أكثر ما يمكن من المعنى، بمرجعيات سياسية، أو دينية، أو تاريخية، أو أدبية...ويتوقّف فهم هذه الرسالة الإيحائية على ذكاء المتلقي وتفاعله مع نصها، وولوجه إلى ما وراء معناها المباشر.

٣-الضحية:

الضحية عنصر أساسي من عناصر المفارقة، وهو الشخص الذي أخفق في إدراك المفارقة على حد قول ميويك[٥]. ويرجع جمال المفارقة إلى أن الضحية الذي تنطلي عليه المفارقة يكون على غير علم بها؛ وإلا لما سمح لصانع المفارقة بأن يجعله

---

[١] ينظر: الركابي، فليح كريم: المفارقة والمفاجأة في شعر أحمد مطر، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع (٦٦)، ٢٠٠٤م، ص١١٤.

[٢] الوقاد، نجلاء علي حسين: بناء المفارقات في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري: دراسة أسلوبية، ص٢٣٥.

[٣] ينظر: سبقاق، صليحة: المفارقة في الشعر العربي الحديث بين سلطة الإبداع ومرجعية التنظير، جامعة سطيف، الجزائر، بحث منشور على الرابط: http://www.univ-chlef.dz/rlf/wp-content/uploads/٢٠١٧/٠٤/Article٨-N٤.pdf

[٤] الخفاجي، قيس حمزة: المفارقة في شعر الرواد، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، دار الأرقم للطباعة والنشر، بابل، العراق، ص٧٨.

[٥] ينظر: المفارقة وصفاتها، ص٣١.

في هذا الموقع، وكلما ازدادت غفلة الضحية وجهلها، وعدم إدراكها للأمور– على النقيض من صانع المفارقة– ازداد تأثير المفارقة ونجاحها[١].

والضحية قد تكون أنا الكاتب، وقد تكون هي الـ"أنت" أو الآخر...إنها ضحية متهمة وبريئة؛ ولكنها في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض فحسب...[٢].

وقد يتبدّل موقع الضحية مع صانع المفارقة في الأجوبة المُسكتة؛ حيث يكشف الضحية غرض صانعها؛ ومن ثمّ يقلب ميزان المعادلة ليصير هو صانع المفارقة؛ بينما يصير صانعها الأصلي ضحية.

٤–العنصر الكوميدي (السخرية والتهكم):

تعتمد المفارقة في بنيتها غالبًا على السخرية والاستهزاء والتهكّم، ويخرج عن ذلك الاستهزاء الذي تخلو صياغته اللغوية من مفارقة اللفظ للمعنى؛ وإنما يرد إلى أدوات لغوية أسلوبية أخرى[٣]. ومع ذلك فليست كل المفارقات سخرية واستهزاء أو استخفافًا بالآخر؛ إذ قد تكون المفارقة نوعًا من التمرد والرفض السياسي والاجتماعي للآخر الذي استخفّ بنا[٤]. وينشأ الضحك في المفارقة من بنية التضاد والتنافر، أو من خلال عدم الانسجام بين العلة والنتيجة في الشيء المضحك[٥].

وهذا العنصر الكوميدي هو ما تهدف المفارقة غالبًا إلى تحقيقه، فهي لا تترك القارئ إلا بعد أن رسمت على شفتيه ابتسامة هادئة تصحبها السخرية من الضحية[٦].

٥–المفاجأة وكسر التوقع:

تُسبّب اعتيادية الخطاب وتقليديته الرتابة والملل؛ ومن ثمّ يلجأ صانع المفارقة إلى كسر هذه الألفة، والخروج عن النمطية إلى آفاق من الانحراف الدلالي؛ عبر إحداث صدمة ومفاجأة سلوكيًّا أو قوليًّا؛ الأمر الذي يحدث ارتباكًا وتوترًا للضحية أو

---

[١] ينظر: ابن صالح، نوال: خطاب المفارقة في الأمثال العربية (مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا)، ص٤٤.

[٢] ينظر: إبراهيم، نبيلة، المفارقة، مجلة (فصول)، مج (٧)، ع(٣–٤)، ١٩٨٧م، ص١٣٣.

[٣] العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص١٧.

[٤] كوينه، زكريا علي أحمد: المفارقة والتمرد في شعر أمل دنقل، مجلة الدراسات العربية (كلية دار العلوم)، جامعة المنيا، مج (٣٠)، ع (٢٠)، ٢٠٠٩م، ص١٣٣٦.

[٥] شوقي، سعيد: بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٧٤.

[٦] ينظر: إبراهيم، نبيلة: المفارقة، مجلة فصول، مج (٧)، ع(٣–٤)، ١٩٨٧م، ص١٣٢.

للمراقبين، وتستدعي الولوج إلى المضامين المحجوبة التي يقصدها صانع المفارقة. وهذه المفاجأة هي التي تُضفي الجمال على المفارقة؛ لأنها تقلب موازين الحوار، وغالبًا ما تكون المفاجأة من الطرف الثاني في الأجوبة المُسكتة، الذي ينقلب دوره إلى صانع للمفارقة.

- **وظيفة المفارقة:**

للمفارقة وظائف متعددة على مستوى النص: فنيًّا ودلاليًّا، كما أن لها وظيفة إصلاحية، فهي تشبه أداة التوازن التي تبقي الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم[١]. إنها ثورة داخلية بأسلوب غير مباشر لإظهار المثالب في المجتمع لتقويمه وتهذيبه وإصلاحه، ومحاولة علاجه بإبرازها على السطح لتجنبها[٢].

وقد يلجأ صانع المفارقة إلى المفارقة عندما يفشل النقد المباشر وكل وسائل الإقناع، وتُستهلك الحجج، ويخفق النقد الموضوعي[٣]، أو عندما لا نملك القدرة على المواجهة المباشرة؛ لأن الطرف الأول أقوى.

ويتحقّق التوازن الذي تصنعه المفارقة من كشف المتناقضات وتعريتها، ويحدث هذا التوازن على المستوى الذاتي؛ حيث تؤدي المفارقة إلى إعادة التوازن لصانعها بواسطة التعبير عما تمتلئ به نفسه، ويجيش به صدره، ويضطرب في عقله. كما يحدث التوازن على المستوى الجمعي من خلال كشف التناقضات الحادثة على مختلف أصعدة الحياة الإنسانية؛ مما يفضي إلى الاختيار والتصحيح والتغيير[٤].

وأما على المستوى الفني؛ فإن المفارقة ضرب من التأنق؛ تحدث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرًا، وهدفها إدهاش المتلقي وتحفيزه على تأمل النص، وإعمال الفكر والحواس للوصول إلى مرامي المنشئ[٥]؛ حيث إنها تُثير فيه البحث الدؤوب عن

---

[١] ينظر: ميويك، المفارقة وصفاتها، ص١٦.

[٢] الوقاد، نجلاء علي حسين: بناء المفارقات في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري: دراسة أسلوبية، ص٢٣٥.

[٣] قاسم سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة (فصول)، مصر، مج (٢)، ع(٢)، ١٩٨٢م، ص١٤٣-١٤٤.

[٤] ينظر: الشافعي، محمد علي فرغلي: المفارقة في التراث البلاغي: صورها وأحكامها، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، ع(٢٦)، ج(٥)، ٢٠٠٧م، ص٢٤.

[٥] ينظر: محمود، هاشم فاضل: المفارقة في الشعر...إشكالية المفهوم والرؤية، مجلة كلية التربية، ع(٢)، ٢٠١٠، ص١٦٦.

المعنى، محاولًا الوصول إلى إقامة علاقات بين ظاهر اللفظ ومحمولاته الدلالية، لكنه في ذلك محكوم بالسياق؛ لأن الدلالة المفارقية نابعة من اللفظ مُحددة بالسياق[١]. كما أنها تُنمي قوى التماسك الدلالي للنص؛ بعدِّ بنيتها جزءًا من بنية نصية أكبر[٢]، وهي من الزاوية المعجمية التاريخية تُعدُّ عاملًا من عوامل التطوّر الدلالي للغة؛ لأن اللفظ يكتسب معها معنى جديدًا[٣].

- **المفارقة في التراث العربي وعلاقتها بالفنون البلاغية الأخرى:**

المفارقة – بوصفها مصطلحًا– لم يعرفها النقد العربي القديم، ولم ترد في الدراسات النقدية العربية إلا حديثًا من خلال الترجمة[٤]. وإذا كان العرب القدماء لم يعرفوا هذا المصطلح بمعناه الحديث، وقد أحسوا بخصوصية الكلام الذي يراوغ ويهرب من تحديد المعنى، أو يقول شيئًا ويعني شيئًا آخر؛ ومن هنا كان كلامهم عن التهكّم والسخرية، ولطائف القوق، والمدح بما يشبه الذم، والذم بما يشبه المدح إلى غير ذلك من الفنون البلاغية التي تقوم على التلاعب باللغة على نحو خاص، وهذه المصطلحات[٥] حملت جزءًا كبيرًا من بناء المفارقة خطابًا بلاغيًّا ورؤية للعالم معًا، كما مارس اللسان العربي المفارقة ممارسة جلية على مر العصور في شعره ونثره، وفي حكمه، خاصة في أمثاله[٦].

---

[١] ينظر: الأمين، محمد سالم ولد محمد: اللغة المفارقة في رواية شرف لصنع الله إبراهيم، مجلة إبداع، مصر، مج (١٧)، ع(٤)، ١٩٩٩م، ص٥٢.

[٢] العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص ٤٨.

[٣] ينظر: المرجع السابق نفسه، ص٨.

[٤] سبقاق، صليحة: المفارقة في الشعر العربي الحديث بين سلطة الإبداع ومرجعية التنظير، http://www.univ-chlef.dz/rlf/wp-content/uploads/٢٠١٧/٠٤/Article٨-N٤.pdf

[٥] من المصطلحات البلاغية الأخرى التي لامست كثيرًا مصطلح المفارقة: المجاز المرسل، والمجاز الاستعاري، والاستعارة، والتمثيل، والمثل، والكناية، والتعريض، والتلويح، والتلميح، والتورية، والتوجيه، والرمز، والإيحاء، واللمز، والغمز، والإلماع، ومعنى المعنى، والأحجية، والإشارة، والتضاد، والطباق، والمقابلة، والسخرية، والاستهزاء، والازدراء، والهجاء، والإثبات بالنفي، والنكتة، والكوميديا، والفكاهة، والمزاح، والمبالغة، والتضخيم، والكاريكاتير، وتجاهل العارف، وسوق الكلام مساق غيره، والتشكيك، والجد في موقف الهزل، والهزل في موقف الجد، وتخفيف القول، وتضخيم القول، وعكس الظاهر، وباب المقلوب، ومخالفة الظاهر. ينظر: سعيد، شوقي: بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، ص٣٥، وشبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٢٨–٤٥.

[٦] ينظر: ابن صالح، نوال: خطاب المفارقة في الأمثال، ص٣٢، ومتولي، نعمان عبد السميع: المفارقة اللغوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، مصر، ٢٠١٤م، ص٢٨ وما بعدها.

ويرى د. العبد أن " التهكم"[١] أقرب ما يكون لمصطلح المفارقة[٢]؛ فالشخصية المتهكمة تستخدم من أساليب الدهاء، وإظهار ما لا تُبطن، والتظاهر بالجهل والضعف والخيبة، وما يخفي حقيقتها قوتها الكامنة التي تُمكّنها في النهاية من قلب الموازين، ووضع الأمور في نصابها الحقيقي[٣]. وكما سبقت الإشارة، قد تخلو المفارقة من السخرية والتهكم، ويكون هدفها فقط إبراز التناقض والتضارب في الشخصية التي جعلها المبدع ضحية للمفارقة[٤].

وهكذا فالمفارقة وُجدت بوصفها ممارسة عملية أو فنية لدى العرب القدماء؛ حتى وإن كانوا على وجه الدقة لم يدركوا مفهومها، ولعل كثرة المصطلحات البلاغية التي تقترب منها تؤكد هذه الممارسة.

- **الأجوبة المُسكتة[٥]:**

الجواب المُسكت: فن نثري يعتمد على البديهة والارتجال، ولا يقتصر على عصر بعينه، وإن كان بعضهم يرى أن العصر الأموي يُعدُّ تأسيسًا أو تأصيلًا لهذا النوع في نثرنا الأدبي[٦].

و**الأجوبة المُسكتة:** مجموعة من الأجوبة الحاذقة الذكية، يردُّ بها المسؤول على من يسأله؛ ليفحمه بالجواب المسكت"[٧].

---

[١] **التهكم**: الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في مكان الوعيد، والعذر في موضع اللوم، والمدح في معرض السخرية، ونحو ذلك. ابن معصوم، علي صدر الدين: أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ج٢/ ١٨٥. وينظر: مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ج٢/٣٧٥.

[٢] العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص٢٣.

[٣] ينظر: ابن صالح، نوال: خطاب المفارقة في الأمثال، ص٥٠.

[٤] أبو شارب، مصطفى فتحي: المفارقة وأبعادها الدلالية في شعر جرير: دراسة نظرية تطبيقية، مجلة (فكر وإبداع)، مصر، ج٨٠، نوفمبر ٢٠١٣م، ص٢٦.

[٥] تسمّى هذه الأجوبة كذلك بالأجوبة المُفحمة، أو المُخرسة، أو المُضحكة، أو الجواب الحاضر، أو الجواب المُلهم، أو الجواب الناصر، أو المحاورة المستحسنة. ينظر: فاعور، منيرة: بلاغة الأجوبة المسكتة (الأسلوب الحكيم نموذجًا)، مجلة جامعة دمشق، مج (٣٠)، ع (٣-٤)، ٢٠١٤م، ص١١٥.

[٦] المقداد، محمود فارس: الأجوبة المسكتة في العصر الأموي، ص٢٨.

[٧] ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد بن أحمد: الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيق: د. مي أحمد يوسف، ص٣٧.

وهي " لون طريف من ألوان الكلام البليغ، يقوم على الارتجال ورد سؤال السائل أو المتكلم بحجة مقنعة مؤثرة"[١].

وتُعرّف د. منيرة فاعور الجواب المسكت بأنه: " قول بليغ مرتجل يعتمد على المشافهة، يُقصد به تصحيح كلام، أو إثبات حق، أو دفع شبهة، مع الإصابة والسرعة في الإجابة"[٢].

ويتكوّن هذا الفن من بنية حوارية، حيث يطلق العبارة الأولى شخص ما، مخاطبًا بها شخصًا آخر في مجلس من المجالس وتُسمّى بعبارة البدء، وتكون هذه العبارة عادة عدوانية، أو استفزازية، أو هجومية، أو استنكارية، أو تعجبية، أو استفهامية، غايتها السخرية من شخص، أو الرغبة في إضحاك الحضور عليه، أو الحط من شأنه، أو تلويث سمعته وإدانته؛ فيردّ عليه الشخص الثاني بعبارة جواب عما خاطبه به الشخص الأول وتُسمّى بعبارة الردّ، وتكون ذات صلة وثيقة بموضوع عبارة البدء، وفي المعنى المساوي لمعناها، أو في معنى فائض عنه فيما يشبه عملية النقض، أو الثأر للذات[٣].

ويكون الجواب المُسكت أو المُفحم بمنزلة القذيفة الصاروخية التي قد تسدّ فم السفيه، أو تصحح خطأ المخطئ، أو تنصر المظلوم المُحتقَر. وهذه الأمور تجعل الأجوبة المُسكتة تسير كالأمثال، ويحفظها الناس؛ لأن فيها فنًّا وطرافة وذكاء وجمالًا[٤]. وتمتاز الأجوبة المُسكتة بالخصائص الآتية:

اعتمادها على الحوار الذي يكون في إطار مجلس مشهود غالبًا، وترتكز – خاصة في عبار الردّ– على البديهة والارتجال، والسرعة في الرد، والإصابة في القول، والإيجاز في التعبير، وحسن البيان، وإفحام الخصم وإسكاته[٥]. هذا فضلًا عن نقض القول السابق، وتعلّقها بالجدل أو الهزل، وتعبيرها عن روح العصر، وعدم توقّع

---

[١] فاعور، منيرة محمد: الحضور البلاغي في الأجوبة المسكتة (الإيجاز– الكناية– حسن التحليل– الاقتباس)، مجلة (التراث العربي)، دمشق، سوريا، مج (٣٢)، ع(١٣٤–١٣٥)، ٢٠١٤م، ص١١.

[٢] بلاغة الأجوبة المسكتة (الأسلوب الحكيم نموذجًا)، مجلة جامعة دمشق، مج (٣٠)، ع (٣–٤)، ٢٠١٤م، ص١١٤.

[٣] ينظر: المقداد، محمود فارس: الأجوبة المسكتة في العصر الأموي، ص٣٥.

[٤] الحازمي، إبراهيم عبد الله: الأجوبة المسكتة، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٥، ٢٠٠١م، ص١٩.

[٥] ينظر: فاعور، منيرة محمد: بلاغة الأجوبة المسكتة (الأسلوب الحكيم نموذجًا)، ص١١٦–١٢٠.

البادئ طبيعة الرد عليه[١]. وتعبيرها عن أنواع مختلفة من الصراع في المجتمع؛ مما نوّع مضامينها، وقد قسّمها بعضهم إلى أضرب منها:

(مواقف حية بين أدباء وأصحاب السلطان وغيرهم- أجوبة الأعراب- أجوبة من صناعة العقل وُضعت على ألسنة الحيوانات- أجوبة الشعراء- أجوبة المجانين)[٢].

- **أنواع المفارقة في كتاب (المجنبة في الأجوبة المُسكتة) لابن عبد ربه:**

للمفارقة أنواع كثيرة أشار ميويك إلى بعضها، ومنها: المفارقة اللفظية وغير اللفظية، والمفارقة السقراطية، ومفارقة التواضع الزائف أو الاستخفاف بالذات، والمفارقة الدرامية، ومفارقة الأحداث، والمفارقة الكونية، ومفارقة التنافر، والمفارقة المزدوجة، والرومانسية، والكوميدية، والمأسوية، والعدمية...[٣].

وقد قُسّمت المفارقة في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة إلى أنواع عديدة؛ مما يصعب على الدارس الإحاطة بها جميعًا، وقد انطلقت بعض الدراسات في تقسيمها من ناحية درجاتها، وبعضها من ناحية تأثيرها، وبعضها من ناحية موضوعها، وبات من الممكن ظهور أنواع مختلفة من المفارقة لم تعد ترتبط بمجرد قول الشيء لتعني بنقيضه فقط، وإنما تعني شيئًا آخر ليس بالضرورة أن يكون النقيض؛ وهو ما يوسّع دائرة المفارقة للوصول إلى أنواع جديدة من المفارقات[٤].

وفيما يتعلّق بمدونة البحث؛ فقد تعدّدت أنواع المفارقة، ويرجع ذلك إلى اختلاف موضوعات هذه الأجوبة، وتعدّد سيقاتها، وتنوّع شخصياتها، وفي الغالب تكون المفارقة في ردِّ الطرف الثاني؛ لأنه ينقض ما بناه الطرف الأول، ويكون مخالفًا لتوقّعاته، ولا يترك فيه الطرف الثاني منعطفًا لنقض خطابه؛ وإنما يكون كمن ألقم الآخَرَ حجرًا؛ فلا يملك ردًّا، وإنما ينفجر ضاحكًا، أو غاضبًا، أو يسكت مُكرهًا، أو يُلقي باللوم على من كان سببًا في سماعه لهذا الردّ، الذي تمنّى ألا يكون تبادر إلى سمعه... وسيعرض البحث أنواع المفارقة بشيء من التفصيل فيما يأتي:

---

[١] ينظر: المقداد، محمود فارس: الأجوبة المسكتة في العصر الأموي، ص٣٧.

[٢] قاسم، محمد عبد الله: ذكاء البيان في الأجوبة المسكتة في التراث العربي، مجلة (المعرفة)، وزارة الثقافة السورية، ع (٦٤٨)، السنة (٥٦)، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م، ص٧٧-٨٨.

[٣] المفارقة وصفاتها، ص٢١٠٢٥، وص٦٢.

[٤] ينظر: سليمان، خالد: المفارقة والأدب، ص٢٤، و٦٧-٧٦، وشبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص١١٤، والشافعي، محمد علي فرغلي: المفارقة في التراث البلاغي، ص٨٢.

١ – المفارقة اللفظية:

عرّف ميويك المفارقة اللفظية بأنها: "انقلاب في الدلالة"[١]، وهي" شكل من أشكال القول يُساق فيه معنى ما، في حين يُقصد منه معنى آخر، غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي الظاهر"[٢].

وتُعدّ المفارقة اللفظية من أوضح أشكال المفارقة وأبرزها، وتعتمد على الدلالة اللغوية السياقية للوصول إلى الدلالة المفارقية المسكوت عنها؛ ومن ثمَّ فإنها لا ترتبط بالزمن بقدر ما ترتبط بدلالة الكلمات في سياق النص.

ومما يُمثّلها هذا الحوار الذي دار بين معاوية بن أبي سفيان ﷺ (ت٦٠هـ) وعقيل بن أبي طالب ﷺ (ت ٥٠هـ)، حيث قال له معاوية:" أبا يزيد، أنا لك خيرٌ من أخيك عليٍّ. قال: صدقت، إن أخي آثرَ دينه على دينا، وأنت آثرتَ دنياك على دينك، فأنت خيرٌ لي من أخي، وأخي خيرٌ لنفسه منك"[٣].

وتبدأ حيثيات المفارقة من قول عقيل: (صدقتَ)، التي فهم منها معاوية أنها تأكيد لقوله؛ لكنّ عقيلًا غيّر مجرى المعنى وحمّله بدلالات متضادة تتجاوز المباشرة إلى معانٍ أخرى تنال من تديّن معاوية، الذي آثر دنياه على دينه في مقابل الإقرار بأفضلية علي، الذي آثر دينه على دنياه، والغريب أن عقيلًا مال إلى جانب معاوية – مُمثّل النفعية المادية لعقيل– والخاسر لدينه/آخرته – من وجهة نظر عقيل– وانصرف عن أخيه؛ لأنه لا يُنفق المال إلا بحقّه؛ ومن ثمّ فهو رابح دينه/آخرته.

والموقف برمته مبني على المفارقة المُركّبة لأخ يترك أخاه ويلجأ إلى عدوه؛ ومع ذلك فإنه يعترف لهذا العدو بأن أخاه أفضل منه... وهكذا فالدلالات تنسال من هذه المفارقة، التي اعتمدت على المقابلة بين طرفي الموازنة فيها، فضلًا عن الجانب الساخر والمضحك من صانع المفارقة (عقيل)، الذي ينتفع من معاوية (الضحية) ماديًّا؛ ومع ذلك فإنه يفضّل أخاه عليه.

---

[١] المفارقة وصفاتها، ص٣٢. ذكر ميويك أن من أقسام هذه المفارقة ما يعرف بـــ(الإبراز)، والنقش الغائر، ومن أمثلة الإبراز (المديح بدل الذم)، أما النقش الغائر فيمثله النيل من الذات.

[٢] قاسم، سيزا: المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة (فصول)، مصر، مـــج (٢)، ع(٢)، ١٩٨٢م، ص١٤٤، والعبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص٧١.

[٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧/٤.

ومن نماذج المفارقة اللفظية التي بُنيت على المقابلة – بوصفها والطباق من أكثر الألوان البديعية اتصالًا بالمفارقة– ما حدث بين هلال بن الأحوز[١] ورجل أزدي؛ حيث قدم الأول من قندابيل[٢] وقد أطافت به بنو تميم، فقال الأزدي: " انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسىﷺ. فقال له محمد بن عبد الملك المازني[٣]: هذا ضدّ عيسى، عيسى كان يُحيي الموتى، وذا يميت الأحياء"[٤].

والمفارقة هنا مركبة، فهي في جانب منها تُمثّل مفارقة الشخصيات؛ حيث شُبّه هلال بن أحوز لما اجتمع حوله بنو تميم بعيسى ﷺ لما طاف به الحواريون، وهي مفارقة كشفت أبعادها المفارقة اللفظية المُتمثّلة في قول المازني: " هذا ضد، عيسى كان يحيي الموتى، وذا يميت الأحياء". وإذا كان الأزدي حكم على المشهد من جهته؛ فإن المازني رأى في المشهد نقيض ذلك؛ لأن عيسىﷺ من معجزاته إحياء الموتى، أما ابن أحوز فمُميت للأحياء في إشارة لقتله آل المهلب. والمفارقة هنا تحتمل الإدانة والهجاء والنيل من ابن أحوزَ إلى غير ذلك من الدلالات السلبية التي حملتها المقابلة بين (يحيي الموتى/ يميت الأحياء). والتناقض في المفارقة فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان ينبغي أن تتفق وتتماثل[٥].

ومما يُمثّل المفارقة اللفظية التي بُنيت على التضاد والنيل من ذات الضحية، هذا الحوار الذي دار بين مالك بن مِسمع[٦] وشقيق بن ثور[١]؛ حيث قال له مالك: " إنما شرّفك قبر بتُستر. قال شقيق: لكن وضعك قبر بالمُشْقَّر"[٢].

---

[١] **هلال بن أحوز** بن أربد المازني المالكي التميمي، قائد من الشجعان القساة عرفه ابن حزم بقاتل آل المهلب بقندابيل، توفي بعد (١٠٢هـ). ينظر ترجمته: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨/٩٠ ومصادره ومراجعه.

[٢] **قَنْدَابِيل:** مدينة بالسند وهي قصبة لولاية يقال لها: النُّدهة كانت فيها وقعة لهلال بن أحوز المازني الشاري على آل المهلب... ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٣): معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ– ١٩٧٧م، م٤/٤٠٢.

[٣] عاش في العصر الأموي، ولم أقف له على ترجمة.

[٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤/٤٦.

[٥] أبو شارب، مصطفى فتحي: المفارقة وأبعادها الدلالية في شعر جرير، ص٢٧.

[٦] مالك بن مِسمع بن شيبان البكري الربعي، أبو غسان: سيد ربيعة في زمانه، وُلد في عهد النبيﷺ وكان أعور أُصيبت عينه في معركة بالجفرة، توفي (٧٣هـ). ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٥/٢٦٥ ومصادره. =

ويعتمد منشئ المفارقة هنا على الإيماء أكثر من التصريح، وصاحب المفارقة المُتمرس يستعمل من الإشارات أقلها[٣]. وهذا ما اعتمده طرفا الحوار في هذه المفارقة؛ حيث يقصد مالك قبر أخي شقيق – مجزأة بن ثور– الذي استشهد بتُستر مع أبي موسى الأشعري ودُفن هناك؛ ولذا فإنه شرف لأخيه شقيق. وتبدأ المفارقة من رد شقيق الذي يحوي تعريضًا وهجاء، معتمدًا على نقيض المعنى الأول بقوله: " لكن وضعك قبر بالمشقر" في إشارة إلى أن مِسمع بن سنان أبا مالك جاء إلى قوم بالمشقر فنبحه كلبهم فقتله، فقتلوه به؛ فكان يُقال له: قتيل الكلاب[٤]. وكان مالك إذا نسب قيل له: ابن قتيل الكلاب[٥].

ويبدو أن النَّغمة التي خاطب بها مالك شقيقًا كانت مُحمّلة بالتهكّم والسخرية؛ لأنه ربما لا شرف له إلا من هذا الجانب؛ ومن ثمَّ جاء ردّ شقيق عليه قاسيًا، كاسرًا لأفق توقّعه؛ حيث جاراه في المعنى نفسه الذي سخر به منه؛ لكنه كان أشد حِدّة وضراوة وتضادًا، إذ أومأ إلى الحادثة التي وضعت من شأنه. والمفارقة هنا تُسهم في تقوية النص فنيًّا، ومنحه المزيد من الترابط والعمق؛ لأنها تدفع القارئ أو المتلقي للبحث عن المعنى الحقيقي القابع وراء النص.

٢ – مفارقة السلوك الحركي:

تعتمد مفارقة السلوك الحركي على نمط الاتصال غير اللفظي الذي يؤدي دورًا مهمًّا، سواء أكان مصاحبًا ومكمّلًا للنمط للاتصال اللفظي أم مستقلًا[٦]. وترسم هذه المفارقة صورة للسلوك الحركي لمن تقع منه أو عليه عناصرها ومكوّناتها. وهي

=[١] **شقيق بن ثور** (أو ابن مجزأة بن ثور) بن عفير السدوسي البصري، من أشراف العرب في العصر الأموي. كان رئيس بني بكر بن وائل في خلافة عثمان، وكانت رايتهم معه يوم الجمل، وشهد صفين مع علي، وقدم على معاوية في خلافته... ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام، ج١٧١/٣ ومصادره.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥٢/٤. **وتُستر**: أعظم مدينة بخوزستان، الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٢/ ٢٩–٣١. **والمُشقَّر**: حصن بن نجران والبحرين، وروي أنه جبل لهُذيل. ينظر: الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج١٣٤/٥–١٣٥.

[٣] ينظر: ميويك: المفارقة وصفاتها، ص٦٣.

[٤] ينظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١٣٩/٤.

[٥] ينظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص٣٩٨.

[٦] ينظر: العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص٢٠١.

حركة عضوية أو حركة جسمية عامة، تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية[١].

ومن أمثلتها ما وقع بين المغيرة بن عبد الله الثقفي[٢] وأعرابي يُؤاكله، حيث كان للمغيرة وهو والٍ على الكوفة جدي يُوضع على مائدته، " فحضر أعرابي فمدّ يده إلى الجدي وجعل يُسرع فيه؛ فقال له المغيرة: إنك لتأكله بحَرد كأن أمه نطحتك! قال: وإنك لمُشفق عليه كأن أمه أرضعتك!"[٣].

والمفارقة في هذا الحوار الساخر مُركّبة، تشمل مفارقة السلوك الحركي، وتُمثّلها الهيئة النّهمة الغريبة التي كان عليها الأعرابي أثناء أكله؛ مما أثار حفيظة صاحب الوليمة. والغريب في المفارقة أن الضيف كان يُفترض أن يستحيي من تعليق المغيرة على طريقة أكله؛ فيُغيّر منها، أو أن يكفّ عن الطعام؛ لكنه بكل جرأة – غير مراعٍ مكانة من يخاطبه– يردّ بما يكسر توقّعات المضيف، وربما جعله ينطلق في نوبة من الضحك هو ومن يراقب ذلك المشهد؛ حيث قال الأعرابي بكل عفوية: " وإنك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك"، معتمدًا على البناء اللغوي ذاته الذي اعتمده المغيرة، بادئًا بـــ(إن التوكيدية)، والتصوير (كأن أمه أرضعتك)، في مقابل (كأن أمه نطحتك)؛ بما يحمله التعبيران من تناقض على مستوى الدلالة.

وهكذا فإن مفارقة السلوك الحركي تتكئ على رصيد كبير من المقدرة التصويرية، وبخاصة تلك التي تُثير قدرًا من الدهشة والاستغراب والذهول أحيانًا[٤].

ويمكن تلمّس جانب آخر من المفارقة الكوميدية الساخرة بين صانع المفارقة وضحيتها، ففي عبارة المغيرة يعدّ هو صانع المفارقة والأعرابي ضحيتها؛ في حين يتبدّل الوضع في عبارة الأعرابي، وصارت مفارقته (مُغلقة) للحوار؛ أصابت الضحية في مقتل، وأدّت دورًا حيويًّا في كسر جمود المشهد، كما أضافت مسحة من المرح

---

[١] العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص١٩٨.

[٢] لعله المغيرة بن شعبة الثقفي أحد دُهاة العرب، صحابي، يُقال له: (مغيرة الرأي)، ولاه عمر بن الخطاب ﷺ البصرة ثم عزله وولاه الكوفة، وأقرّه عثمان بن عفانﷺ عليها، وولاه معاوية الكوفة، فلم يزل فيها حتى مات سنة (٥٠هـــ). يُنظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٢٧٧/٧.

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤١/٤. والحرد: الغيظ والغضب، وحرد الرجل: فهو حَرِد: إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهم به. ابن منظور: اللسان، مادة (حرد)، ص٨٢٥.

[٤] بن صالح، نوال: خطاب المفارقة في المثال، ص١٠٨.

والضحك. ويمكن كذلك عدّ قولي المغيرة والأعرابي من باب مفارقة النغمة؛ إذ إن كليهما أدّى جملته بنغمة تهكمية ساخرة.

ومن مفارقات السلوك الحركي ما دار بين مالك بن أسماء[١] ورجل من بني مرة في سجن الكوفة، حيث أُدخل مالك سجن الكوفة، " فجلس إليه رجل من بني مرة فاتكأ عليه المري يحدثه، ثم قال: أتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: أما في الجاهلية فلا؛ ولكن أعرف من قتلتم في الإسلام! قال: ومن قتلنا منكم في الإسلام؟! قال: أنا، قد قتلتني بنتن إبطيك"[٢].

وتتمحور بنية هذه المفارقة في جماليات الحوار، الذي كان فيه مالك ضحية لصانع المفارقة (المري) بصنيعه الحركي الذي لا يدركه، والذي كاد أن يُودي بحياة مالك، ومما زاد من فعالية هذه المفارقة وحِدّتها عفوية السؤال (أتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟)؛ إذ المكان الذي هما بصدده يفرض نمطًا آخر من طبيعة الأسئلة التي يمكن أن تُلقى، التي بها يقضيان على الوقت الكئيب والمُمّل داخل غياهب السجن؛ ولكن وضعية الاتكاء – وربما يشي هذا بضيق المكان– وفحوى السؤال تصنع مفارقة تجعل الضحية يُغيّر مجرى الإجابة، مُنكرًا أو زاعمًا عدم معرفته بمن قُتل منهم على يد بني مُرة في الجاهلية؛ ولكنه يعرف من قُتل منهم في الإسلام، وهو ما لم يعرفه المري؛ مما جعله يستفهم مستنكرًا: (ومن قتلنا منكم في الإسلام؟!) فكانت الإجابة الفارقة المُربكة المضحكة التي خالفت كل توقّع، وجعلت من صانع المفارقة ضحية لجهله وعفويته وغرارته؛ فقد كان مُحاوره (ابن أسماء) قتيله، لا بحدّ السيف، وإنما باتكائه المفرط عليه؛ إلى الحد الذي جعله يستنشق رائحة إبطه النتنة!

ويشتمل هذا الموقف على مفارقة السلوك الحركي، الذي كاد أن يودي بحياة ابن أسماء، في الوقت الذي لم يفطن فيه المري لما يفعل. هذا بالإضافة إلى أن الموقف برُمته يضمُّ أنواعًا مُتعددة من المفارقات، منها: مفارقة نوعية أسئلة المري في هذا المكان، ومفارقة استنكاره معرفة من قتلوا من قوم مالك في الإسلام، ومفارقة جواب

---

[١] مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، شاعر أموي غزل ظريف، من الولاة. كان هو وأبوه من أشراف الكوفة. تزوج الحجاج أخته، وولّاه خوارزم وأصبهان. ووقع منه ما أوجب حبسه مدة طويلة. توفي نحو (١٠٠هـ). ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٥/ ٢٥٧ ومصادره ومراجعه.

[٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤/٤٣.

مالك التي جعلت المري ضحية لجهله...وفي كل الأحوال، فإن قارئ المفارقة لا يملك إلا أن يرسم ابتسامة عريضة على شفتيه جراء هذا المشهد الساخر الذي كان كل ما فيه ينمّ عن مفارقة.

وهكذا فالمفارقة هنا كانت ذات دلالة خصوبية موحية تجمع بين الجودة والجِدة غير المُرتقبة، تخرق فجأة توقّعات المتلقي، وتُحدث صدمًا مثمرًا ذا لذة أدبية خاصة؛ مما يفضي إلى أن قيمة المفارقة الجمالية تنبع من طريقة قولها ومما قالته معًا، دون جور على الموضوع أو كيفية التشكيل[١].

٣- المفارقة الهزلية (مفارقة التعريض والسخرية):

اعتمد جانب كبير من الأجوبة المُسكتة على التعريض، والإيماء، والسخرية، والنيل من الطرف الأول البادئ بالحوار، وفي هذه المفارقة يكون العنصر الفكاهي أكثر تأثيرًا، وتُستخدم السخرية بدرجة عالية تصل إلى مرحلة الضحك، وهي مفارقة صريحة يكون فيها القارئ، أو الضحية، أو كلاهما على وعي وإدراك بالمعنى الحقيقي الذي تعنيه المفارقة[٢].

ومما يُمثّل هذه المفارقة ما يرويه ابن عبد ربه بقوله: " وكان بالرقة رجل يُحدّث بأخبار بني إسرائيل، فقال له الحجاج بن حنتمة[٣]: كيف كان اسم بقرة بني إسرائيل؟ قال: حنتمة! فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري (ت ٤٤هـ): أين وجدت هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص (ت٤٣هـ)"[٤].

ويبدو من سياق الرواية أن الرجل القاص (صانع المفارقة) كان منسجمًا في حديثه عن بني إسرائيل إلى حدِّ الإغراق، ويبدو كذلك أن أحد الحضور – وهو ابن حنتمة (الضحية الأول)– أراد إحراجه أو تعجيزه بسؤال، يراه القاص أنه لا يُقدّم أو يُؤخّر في سياق سرده؛ ومن ثمّ جاء الرد مفحمًا، ساخرًا، مُعرِّضًا باسم أم السائل (حنتمة) التي ينتسب إليها؛ ويمثّل هذا الرد مفارقة جوابية مضحكة لكل من كان يُراقب

---

[١] الخفاجي، قيس حمزة: المفارقة في شعر الرواد، ص٦٥.

[٢] العازمي، خلف مطلق: المفارقة لدى شعراء خراسان في العصر العباسي، منشور ضمن مركز اللغات الأجنبية والترجمة بجامعة القاهرة، ج٤٣، ١٩٨٣م، ص ٢٠١-٢٠٢.

[٣] الحجاج بن حنتمة: لم أقف له على ترجمة.

[٤] العقد الفريد، ج٤/٤٤.

الحوار بينهما. ومن المفارقة المُدهشة أن هذه الإجابة التعريضية الساخرة ربما ظن بعض الحضور أنها إجابة صحيحة للسؤال، ويبدو أن القاص أثناء إجابته كان جادًا صارمًا؛ فانطلى الأمر على بعض الحضور، الذي بادر بسؤال القاص عن مصدر هذه الإجابة، وقد يكون سأل ساخرًا؛ ومن ثمَّ جاء ردُّ القاص على غير المألوف، وكاسرًا لكل توقّع؛ حيث عرّض بالسائل، الذي كان من ولد أبي موسى الأشعري، فقال له: "في كتاب عمرو بن العاص"، في إشارة إلى قضية التحكيم، وتغرير عمرو بن العاص بأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

وقد تمثّلت المفارقة هنا في خروج الأسئلة عن مدارها الحقيقي بالنسبة للقاص؛ ولذا جاءت الإجابة عن السؤالين مُخالفة للواقع الفعلي، تحمل في طياتها التضاد؛ لأن اسم بقرة بني إسرائيل لم يكن كما أشار، كما أنه لم يستقِ هذه المعلومة مما يرويه عمرو، وإنما هو تعريض مُفتعل ساخر يفهمه ضحيتا المفارقة كما يفهمه الحضور؛ ولهذا فربما انقلب المجلس رأسًا على عقب من كثرة الضحك على الضحيتين، وقد يكون الضحيتان ممن غرق في الضحك.

وفي سياق الإيماء إلى قضية التحكيم يروي ابن عبد ربه هذا الحوار الذي جرى بين بلال بن أبي بردة[١] وابن علقمة الممرور[٢]، حيث قال: " بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة الممرور، فلما أتى قال: أتدري لم بعثت إليك؟ قال: لا أدري. قال: بعثت إليك لأضحك بك! قيل: لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه"[٣].

وبدأ المشهد ببيان نية بلال الصريحة في السخرية من الممرور، الذي قلب الدفة عليه، وصار صانعًا للمفارقة؛ في حين أصبح بلال ضحيتها، حيث جاء الردّ مفارقًا، ساخرًا، ومُعرّضًا بتاريخ بلال فيما يتعلّق بجده أبي موسى الأشعري، الذي غرّر به عمرو بن العاص في قضية التحكيم. ومن شدة لذع الإجابة وتأثر بلال بها أنه أمر بحبسه، فكلمه الناس فيه وقالوا: إن المجنون لا يُعاقب ولا يُحاسب؛ فأمر بإطلاقه وأن

---

[١] بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، أمير البصرة وقاضيها. ولاه خالد القسري سنة ١٠٩هـ، فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥هـ فعزله وحبسه؛ فمات سجيناً . ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام، ج٧٢/٢ ومصادره.

[٢] ابن أبي علقمة الممرور لم أقف له على ترجمة، ويبدو أنه كان من عقلاء المجانين.

[٣] العقد الفريد، ج٤٥/٤.

يُؤتى به إليه؛ فأتي في يوم (سبت) وفي كمه طرائف أُتحف بها في الحبس، فقال له بلال: " ما هذا الذي في كمّك؟ قال: من طرائف الحبس. قال: ناولني منها. قال: هو يوم سبت، ليس يُعطى فيه ولا يؤخذ"[١].

وتمثّلت المفارقة هنا في أن الممرور خرج عن نطاق الإجابة المتوقّعة، التي لا تخرج عن أن يعطيه أو يقول له: لا؛ وإنما جاءت الإجابة مُخالفة لكل التوقّعات المُحتملة، وحينئذ تسير في الاتجاه نفسه من التعريض التهكمي بعمة لبلال كانت من اليهود؛ وهكذا صار بلال أضحوكة المجلس من خلال هذه السخرية والتعريض الذي ناله من قِبل جده وعمته.

ومن المفارقات الطريفة التي بُنيت على التعريض الساخر ما روي عن عبد الله بن صفوان[٢] وعبد الله بن جعفر[٣]، حيث قال ابن صفوان – وكان أميًّا– لابن جعفر:" أبا جعفر، لقد صرتَ حُجةً لفتياننا علينا، إذا نهيناهم عن الملاهي قالوا: هذا ابن جعفر سيد بني هاشم يحضرها ويتخذها! قال له: وأنت أبا صفوان صرتَ حُجةً لصبياننا علينا؛ إذا لمناهم في ترك المكتب قالوا: هذا أبو صفوان سيد بني جمح لا يقرأ آية ولا يخطّها"[٤].

وقد بُنيت هذه المحاورة على المفارقة الاستنكارية، والجزء الأول منها يعيب فيه ابن صفوان على ابن جعفر اتجاهه إلى الملاهي؛ حتى صار قدوة للفتيان، وكان واجبًا أن يكون قدوة لهم في غير ذلك، وهذه مفارقة سلوكية تُخالف ما كان مفترضًا عليه أن

---

[١] المصدر السابق نفسه، ج٤/٤٥.

[٢] هو عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، رئيس مكة وابن رئيسها، شجاع من أصحاب عبد الله بن الزبير(ت ٧٣هـ)، حارب مع الحجاج بن يوسف (ت٩٥هـ). وُلد في حياة النبي ﷺ وقُتل بمكة يوم مقتل ابن الزبير، فبعث الحجاج برأسه إلى عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ). عرفه ابن حزم بعبد الله الأكبر تمييزًا له عن ابن صفوان الأصغر. ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام، ج٤/٩٣ ومصادره.

[٣] عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، صحابي وُلد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين...وكان كريمًا يُسمّى بحر الجود، وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم (صفين)، مات بالمدينة سنة (٨٠هـ). ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام، ج٤/٧٦ ومصادره.

[٤] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/٤٨.

يكون. إن "المفارقة تعبير انتقادي يعرض ملمحًا أسلوبيًّا فيه مُغالاة أو مبالغة... وربما جُعلت المفارقة في الوقت نفسه أداة تلطيفية"[١].

وجاء ردّ ابن جعفر في الاتجاه نفسه من التعريض الساخر، الذي انتقد فيه جهل ابن صفوان وأميته؛ حتى أنه صار حُجة للصبيان – واختيار هذا المفردة غاية في السخرية موازنة بكلمة الفتيان، التي أوردها ابن صفوان أولًا– في ترك التعليم قياسًا عليه؛ لأنه يعدُّ سيد قومه على الرغم من أنه لا يقرأ آية ولا يخطّها؛ وهذا من المفارقات الساخرة، فكيف بسيد القوم أن يكون جاهلًا؟!

وهكذا يتبيّن من المفارقتين السابقتين في إطار هذه الحوار التعريضي الساخر؛ أنهما بُنيتا على سلوك يناقض ما يُنتظر فعله؛ إذ يأتي الفعل مُغايرًا للوجهة التي يجدر بالإنسان أن يقوم بها[٢].

٤– المفارقة الهجائية:

المفارقة في الأساس سلاح هجومي فعّال، وهي قول نقدي ساخر وتعبير عن موقف عدواني؛ ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية"[٣].

ومما يُمثّل هذه المفارقة ما وقع بين عمرو بن معد يكرب الزبيدي[٤] وباهلي؛ حيث قال له الأخير: "إن مُهرك لمُقرفٌ"[٥]، فقال عمرو: " هجينٌ عَرَفَ هجينًا مثله"[٦].

فقد جاء رد عمرو على غير ما توقّعه الباهلي، الذي ظنّ أنه سيجيب بنعم ليؤكّد كلامه أو ينفيه؛ لكن كانت الإجابة هجومية تحمل مفارقة هجائية تعكس دلالات لا

---

[١] العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص١٧.

[٢] ينظر: الرواشدة، سامح عبد العزيز: المفارقة في شعر أمل دنقل، مجلة دراسات– العلوم الإنسانية، الأردن، مج (٢٢ أ)، ج(٦)، ١٩٩٥م، ص٣٧٩٢.

[٣] قاسم، سيزا: المفارقة في القص العربي، مجلة فصول، مصر، مج (٢)، ع(٢)، ١٩٨٢م، ١٤٣.

[٤] هو عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي، فارس اليمن، وفد على المدينة سنة (٩هـ) في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا، ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك وذهبت فيها إحدى عينيه، وبعثه عمر إلى العراق فشهد القادسية. وله شعر جيد. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٥/٨٦ ومصادره.

[٥] القرفة: الهجنة، وهو الفرس الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك؛ لأن الإقراف من قِبل الفحل، والهجنة من قِبل الأم. ابن منظور، اللسان، مادة (قرف)، ص٣٦٠١.

[٦] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤/٢٦. وفرس هجين: إذا لم يكن عتيقًا، والهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصان عربي، الهجين: العربي ابن الأمة لأنه معيب. ابن منظور، اللسان، مادة (هجن)، ص٤٦٢٥-٤٦٢٧.

تنتهي من ضِعة نسب هذا الباهلي، الذي تمنّى ألا يكون خاطب عمرًا أصلًا. وفي ظني أن النغمة التهكمية التي خاطب بها الباهلي عمرًا؛ هي التي جعلت الأخير يرد عليه بنغمة تهكمية ساخرة أراد من خلالها أن يقول له: إن الطيور على أشكالها تقع، وإن الشيء يميل إلى مثله، فإذا كان المهر غير ضالع في الأصالة من جهة أبيه؛ فإن طامة هذا الباهلي– على حسب رأي عمرو– أشد لأن هجنته جاءته من قِبل أمه. وبناء على هذا يمكن قراءة المفارقة هنا في أكثر من اتجاه، فهي مفارقة هجائية من جهة، ومفارقة نغمة من جهة أخرى، وكان ضحيتها الباهلي، الذي أُلقم حجرًا سدَّ عليه المداخل والمخارج؛ بينما كان صانع المفارقة عمرو، الذي استخدمها سلاحًا هجائيًّا ساخرًا.

ومن المفارقات المركّبة التي تحتمل المفارقة الهجائية ومفارقة الموقف، ما دار بين هشام ابن عبد الملك (ت ١٢٥هـ) وقوم من اليمن، حيث نزل به قوم من أخواله باليمن ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم، فقال هشام لخالد بن صفوان (ت نحو ١٣٣هـ)[١] أجب القوم، فاعتذر خالد وقال: أخوالُ أمير المؤمنين، فقال له : لا بد أن تقول، فقال هشام: " وما أقول يا أمير المؤمنين، وما أقول لقوم وهم بين حائك بُرد، ودابغ جلد، وسائس قرد، ملكتهم امرأة، ودلّ عليهم هدهد، وغرّقتهم فأرة"[٢].

وتبدأ هذه المفارقة من افتخار أخوال هشام اليمنيين عنده، وكان الأجدر بهم ألا يفعلوا ذلك؛ فهم في حضرة أمير المؤمنين، ولكل مقام مقال، وكان الأجدر بهم أن يُثنوا عليه ويمدحوه؛ ومن ثمَّ وفي إطار تطوّر الأحداث طلب هشام من أفصح الحضور يومئذ الرد عليهم، ويبدو أنه فهم مقصد هشام فاعتذر؛ لأن إجابته ربما أغضبت هشامًا عليه؛ لأنهم في الأخير أخواله؛ لكن هشامًا ألحّ عليه، فجاء رده في غاية المفارقة الهجائية، التي فاجأت اليمنيين وأربكت موقفهم، وما ظنوا أن تكون الإجابة حاضرة بمثل هذه السرعة، والترتيب، والتناغم الإيقاعي، والتداعي السلبي لكل ما يحطّ من شأنهم حسيًّا ومعنويًّا في إطار من السخرية اللاذعة، التي يفرُّ منها العربي القحُّ فرار

---

[١] هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري، من فصحاء العرب المشهورين. كان يجالس عمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ) وهشام بن عبد الملك (ت١٢٥هـ)، وله معهما أخبار. وُلد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها مالًا. له كلمات سائرة، وعاش حتى أدرك خلافة السفاح العباسي (ت١٣٦هـ) وحظي عنده، وكان من أقدر الناس على مدح الشيء وذمه، توفي نحو (١٣٣هـ). ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٢/٢٩٧ ومصادره.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/٤٩.

السليم من المجذوم؛ لأن ما هجاهم به فيه دونية تنال من مكانتهم بوصفهم عربًا، فهم – من وجهة نظره– في عِداد أصحاب الحرف التي يأنف العربي من الانتساب إليها (حائك– دابغ– سائس).

ولم يكتف بذلك فقط ، وإنما استدعى من مخزونه الثقافي والديني ما يحطُّ من شأنهم في أمور مصيرية يستهجن العربي ذو الجرثومة أن يُوسم بها؛ فقد حكمتهم امرأة – يقصد بلقيس– كما أنهم أغمار منفيون في مجاهيل الأرض، لا ذكر لهم ولا شأن، ولم يكتشف أمرهم إلا هُدهدٌ – يُشير بذلك إلى قصة هدهد سليمان عليه السلام– وبلغ من ضعف شأنهم ومهانتهم أن (فأرة) قرضت سدهم فأغرقتهم – يومئ إلى قصة سد مأرب– وهكذا هدم خالد بن صفوان بنيانهم من القواعد وقوّضه، وزلزل أركانهم، وجعلهم يتداحون ويتقزّمون، وودوا لو انشقت الأرض سريعًا وابتلعتهم...

واعتمدت المفارقة السابقة على التضاد، فما أثبته اليمنيون من مجد مزعوم، وما شادوه من فخر موهوم؛ وضعه خالد، هذا بالإضافة إلى احتواء المفارقة على السخرية، التي تتجلّى من النغمة التهكمية التي خاطبهم بها، فضلًا عن انتقاء المفردات ورصفها في إطار من الإيقاعية والتقسيم الذي يجذب المتلقي ويُثير الانتباه، وأمام كل هذا كان من الطبيعي ألا يقوم ليمنيٍّ بعدها قائمة كما روى ابنُ عبد ربه.

وقد يكون الهجاء مع فظاظته وخشونته نوعًا من السخرية، " وعلى الرغم مما يبعثه أحياناً في نفس المهجو من الضيق والألم؛ فإنه يُثير الضحك عن طريق إبراز العيوب وتجسيمها، والمبالغة في تصويرها إلى الدرجة التي تجعل المهجو غير ملائم للصورة التي يجب أن يكون عليها"[1].

٥– مفارقة التنافر البسيط:

يضرب ميويك مثلًا على هذه المفارقة بقول تيوفيل كوتييه:" أية مفارقة مُبكية أن يقوم قصر قبالة كوخ"[2]. وتتحقّق هذه المفارقة من تجاور ظاهرتين يوجد بينهما تنافر شديد، كأن تكون الشخصية بخيلة لكن يصدر عنها ما يوحي بالكرم، أو يجتمع الحب والكره لشيء في القلب...ومما يُمثّل هذه المفارقة هذه المحاورة التي وقعت أحداثها بين عثمان بن عفان (ت٣٥هـ) وعلى بن أبي طالب (ت٤٠هـ)– رضي الله عنهما– حيث

[1] الهوال، حامد عبده: السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٧.
[2] المفارقة وصفاتها، ص٢٤.

لقي عثمان عليًّا فعاتبه في شيء بلغه عنه، فسكت عنه علي، فقال له عثمان: " ما لك لا تقول؟! قال له علي: ليس لك عندي إلا ما تحب، وليس جوابك إلا ما تكره"[١].

إن هذا الجواب – بما فيه من تضاد– بمثل هذه البلاغة؛ يُمثّل مفارقة تنافرية جمالية تنبع من تباين المشاعر ما بين إخلاص الحب؛ ولكنّ هذا القلب ذاته به مشاعر تجعل الجواب ربما يتعارض مع هذا الودّ، وتُغضب الطرف الآخر. ولعل هذه الإجابة بما تحمله من مفارقة كانت مفاجأة لعثمان، الذي سيراجع نفسه فيما عاتب عليًّا فيه. وهي مفارقة تومئ أكثر ما تُصرّح، فالجواب المكروه بالنسبة لعثمان سيكون فيه غضب علي؛ لأن ما عاتبه فيه عثمان ربما كان وشاية، وكان الأجدر به ألا يُصدّقها.

وفي المعنى نفسه من المفارقة المتنافرة التي تجمع بين ضدين في وقت واحد ما دار بين معاوية (ت٦٠ هـ) والأحنف بن قيس (ت٧٢هـ) حول أخذ البيعة ليزيد بن معاوية (ت٦٤هـ)؛ حيث تكلم الناس بما يرضي معاوية وسكت الأحنف، فقال له معاوية:" ما لك لا تقول أبا بحر؟ قال: أخافك إن صدقتُ، وأخاف الله إن كذبتُ!"[٢].

فلم يشأ الأحنف أن يقولها صريحة لمعاوية بأنه يرفض المبايعة ليزيد، وإنما لجأ إلى المراوغة والتورية من خلال معادلة صعبة بناها على التضاد، فقول الصدق (رفض مبايعة يزيد)؛ سيغضب عليه معاوية، وسيقلب ما خطّط له من أمر البيعة رأسًا على عقب، وسيؤول أمر الناس إلى الرفض بعد أن أقنعهم معاوية بالموافقة. أما قول الكذب (قبول المبايعة)، ومنافقة معاوية؛ فإن فيه رضاءه والإمعة مع الناس؛ لكن فيه مخالفة لما يُمليه عليه ضميرُه؛ ومن ثمّ يخاف عقوبة الله. وكان يمكن للأحنف – لمكانته بين قومه–أن يعبر عن رأيه بصراحة؛ لكنه لجأ إلى المفارقة والمواربة والمضامين المحجوبة؛ خشية أن يأتي التعبير المباشر بما لا تُحمد عقباه.

٦- المفارقة الإنكارية:

تتحقّق هذه المفارقة من خلال موقف مضحك أو غريب مختلف كثيرًا عما كان يتوقّعه المرء[٣]. فأن يصير المرء مجرمًا يُعاقَب على جريمة يفعلها غيره، في حين يفلت المجرم الحقيقي؛ يعدّ ذلك من المفارقات التي تجعل البريء يستنكر الأمر، وهذا

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/٢٨.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ ٢٨.

[٣] ينظر: عبد المجيد، جميل: المفارقة والأبيجرام، مجلة (فصول)، مصر، ع (٧٢)، ٢٠٠٨م، ص٢٢٧.

ما وقع مع المسور بن مخرمة[١]، الذي قال في يزيد: إنه يشرب الخمر، فبلغ يزيد ذلك، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلد المسورَ حدَّ شُرب الخمر؛ ففعل، فقال المسور:

أَيَشْرَبهَا صِرفًا يفضُّ خِتامهَا أبو خالد ويُجلدُ الحدُّ مِسْوَرُ؟![٢]

واعتمد المسور على السؤال لإبراز السخرية والإنكار لهذا الحُكم الجائر الذي كان الأولى به يزيد؛ لأنه هو الذي عاقر الخمرّ! وكان المسور ضحية مفارقة صانعها يزيد، وهي مفارقة عملية من جهة؛ لأنه بالفعل طُبّق عليه حد شرب الخمر وهو لم يشربها، وهي في الوقت ذاته مفارقة إنكارية من قِبل الضحية الواعي بها غير المغرر.

٧- مفارقة كسر التوقع:

المفارقة في حدّ ذاتها تُمثّل كسرًا للمألوف، وخروجًا عن حيّز التوقّع المرسوم في ذهنية المتلقي؛ ومن ثمَّ فإنها تحمل طابع الدهشة، وتُحاط بفضاء المفاجأة التي تترك المتلقي مشدوهًا لا يَحير جوابًا ولا يردُّ خطابًا. وقد حمل كثير من الأجوبة المُسكتة عنصر المفاجأة وكسر أفق التوقّع؛ حيث إن الطرف الأول – الأقوى سلطويًّا غالبًا– لم يدر بخلده أن يتلقى ردًّا لجوابه من الطرف الثاني بمثل هذه السرعة، والقوة، والإفحام المُربك الذي ربما جعله يندم أن كان المبتدئ بالكلام، ومما يُمثّل هذه المفارقة هذا الحوار الذي وقع بين عبد الله بن الزبير[٣] وعدي بن حاتم[٤]، حيث قال له عبد الله:

---

[١] المِسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، من فضلاء الصحابة وفقهائهم. أدرك النبيﷺ وهو صغير وسمع منه. وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى، وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة، وشهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد، ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقُتل سنة (٦٤هـ). ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٧/٢٢٥ ومصادره.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/٣٧.

[٣] عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، أول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح أفريقية زمن عثمان، وبُويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ عُقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم الحجاز، ومصر، والعراق، وخراسان، وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة المنورة، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة؛ حتى سيّروا له الحجاج الثقفي في أيام عبد الملك بن مروان فقتله بمكة سنة (٧٣هـ). ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٤/٨٧ ومصادره.

[٤] عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام، وكان إسلامه سنة (٩هـ). قام في حروب الردة بأعمال كبيرة، وشهد فتح العراق، وموقعة الجمل وصفين والنهروان مع علي، وفُقئت عينه يوم صفين. مات بالكوفة سنة (٦٨هـ). يُنظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٤/ ٢٢٠ ومصادره.

"متى فُقئت عينك؟ قال: يوم قُتِل أبوك، وهربت عن خالتك، وأنا للحق ناصر، وأنت له خاذل"[١].

ويُشير عدي هنا إلى أحداث موقعة (الجمل) بين علي من جهة، والزبير بن العوام (ت ٣٦هـ) وطلحة بن عبيد الله (ت ٣٦هـ) وأم المؤمنين عائشة (ت ٥٨هـ) من ناحية أخرى، التي قُتل فيها الزبير، وهرب فيها عبد الله (ت ٧٣هـ) عن نصرة خالته عائشة – كما يقول عدي– وضحية المفارقة هنا (ابن الزبير)، الذي سأل عديًّا – وأظنه كان يعلم الإجابة؛ ولذلك يمكن توجيه المفارقة هنا بأنها سقراطية يدّعي صانعها الجهل قصدًا– عن وقت فقء عينه، وجاء الرد مُباغتًا عنيفًا، وصار ابن الزبير في ورطة؛ فقد كال له عدي بمكيال أوفى، معتمدًا على الموازنة بين موقفهما المتباين يوم الجمل. وارتكز عدي على الإيماء والإشارة، فكلماته موجزة؛ لكنها تأخذ بالطرف الأول إلى حيث الماضي الأليم، والذكريات المشحونة بالأسى، وإذا كان عدي فقد إحدى عينيه؛ فإن طامة ابن الزبير أشد؛ لأنه فقد أباه، وهرب عن نصرة خالته يومذاك.

ومن المواقف التي تحمل هذا البُعد المفارقي المفاجئ ما حدث بين حسان بن ثابت (ت بين عامي ٣٥ و٤٠هـ) وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنهما– حينما دخل عليها وأنشدها قوله:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تزنُّ بريبةٍ وتُصبحُ غَرثى من لحومِ الغوافلِ[٢]

فقالت له: " لكنك لستَ كذلك"[٣].

اعتذر حسان ﷺ عما بدر منه في حق أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– ومدحها بالعفة والحصانة...وعلى الرغم من أنها كانت لا تقبل أن يُسبّ حسان في حضرتها؛ لكن كان ردها بعد سماعها البيت السابق مفاجئًا وصادمًا؛ فقد ظنّ أنها عفت عنه، أو

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣٦/٤.

[٢] البيت في ديوان حساب بن ثابت: حققه وعلّق عليه: د. وليد عرفات، دار صادر بيروت،٢٠٠٦م، ج٢٩٢/١.

[٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤٥/٤. وحصان: عفيفة. اللسان، مادة (عفف)، ص٩٠٢، ورزان: الرزين: الثقيل من كل شيء، ورجل رزين: ساكن، وامرأة رزان: إذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف، وكانت رزينة في مجلسها. اللسان، مادة (رزن)، ص١٦٣٩، وما تزنُّ بريبة: أي أنها ليست موضع شك، وغرثى: الغرث: أيسر الجوع، وقيل: شدته، وقيل: هو الجوع عامة، والمقصود هنا أنها لا تغتاب أحدًا. اللسان، مادة (غرث)، ص٣٢٣١، والمقصود بالغوافل: اللاتي لا يخطر على بالهن شيء من ذلك.

أنها ستُثني عليه، أو تشكره...لكن كان جوابها مفارقيًّا صادمًا ينمُّ عن عِظم ما تعرّضت له في هذه الحادثة.

٨- مفارقة الرؤية المغلوطة:

تعتمد هذه المفارقة على فكرة يدين بها أحد طرفي المحاورة، وتأتي تصرفاته بناء على هذه الرؤية، التي قد يراها الطرف الآخر رؤية مغلوطة؛ ومن ثمّ يشرع في بيان زيفها، ومن ذلك هذا الحوار الذي وقعت أحداثه بين معاوية وعبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما- حيث قال له معاوية: " تنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني! قال: لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله ﷺ على الإيمان، واتبع الناس أباك على الكفر. قال له معاوية: غلطت يا ابن الزبير، بعث الله ابن عمي نبيًّا، فدعا أباك فأجابه؛ فما أنت إلا تابع لي، ضالًا كنتُ أو مهديًّا"[1].

وقد رجع ابن الزبير إلى بدايات الدعوة، وموقف والد كل منهما من النبي ﷺ حيث تبعه الزبير على الإيمان؛ بينما كان أبو سفيان ضده داعية للكفر، ورأى ابن الزبير أن هذا مفخرة له، وهو ما يميزه عن معاوية، وظن أن ذلك يشفع له في أن يستأثر بالأمر دونه؛ ويمكن أن نُطلق على هذا الجانب (مفارقة الاستحقاق)، فالحق هنا – وهو تولي أمر المسلمين- يؤول إلى من لا يستحقه فعليًّا من وجهة نظر ابن الزبير.

ولكن معاوية قلب له ظهر المجن، وكشف له بمنطقية ودهاء عن أن رؤيته مغلوطة، ولا تُخوّل له أن يدعي أمرًا لا يحقّ له أن يطلبه، وقد تملّص معاوية بمفارقة – يمكن أن نطلق عليها مفارقة التملّص- من أن يتحدث في جانب المفاضلة بين أبيه والزبير؛ لأنه يعلم أن كفة ابن الزبير راجحة عليه، ولذا تملّص بذكاء أخرجه إلى أن تكون كفته المائزة؛ حيث افتخر بالنبي ﷺ (ابن عمه) مباشرة، الذي حباه الله بالرسالة، ودعا الزبير إلى الإسلام فأجابه؛ ومن ثمّ فابن الزبير تابع لمعاوية لقرابة الأخير المباشرة من صاحب الرسالة ﷺ وبناء على ذلك فافتخار ابن الزبير السابق لا محل له في زعمه هذا. وهكذا فقد وقع ابن الزبير (الضحية) في شباك دهاء معاوية (صانع المفارقة)، الذي برهن له بالمنطق والحجة – كما يراهما- عن أنه تابع له، ولا يحق له إلا أن يكون في معيته، هذا بالإضافة إلى وجود التضاد النابع من الرؤية المغلوطة التي

[1] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤/١٠٦.

تبناها ابن الزبير، فضلًا عن الجانب الساخر والنغمة التهكمية التي خاطب بها معاوية ابن الزبير.

ومن أمثلة تلك المفارقة التي بُنيت على الرؤية المغلوطة، وتعلّقت بما يبذله الولاة من جهد لتوفير المال لخزينة الدولة، وأبطال هذه المفارقة: عبد الملك بن مروان حَكَمًا، والحجاج بن يوسف في كفة، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد[١] – واليه على العراق سابقًا– وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد[٢] – واليه على خراسان سابقًا– في الكفة الأخرى، وأثناء وجودهما في حضرة عبد الملك إذ بأموال العراق من قِبل الحجاج وُضعت بين يديه، فقال: " هذا والله التوفير، وهذه الأمانة، لا ما فعل هذا– وأشار إلى خالد– استعملتُه على العراق، فاستعمل كل مُلطٍّ فاسق، فأدوا إليه العشرة واحدًا، وأدى إليَّ من العشرة واحدًا! واستعملتُ هذا على خراسان– وأشار إلى أمية– فأهدى إليَّ برذونين حطمين، فإن استعملتُكم ضيعتُم، وإن عزلتُكم قلتم: استخفَّ بنا وقطع أرحامنا!"

فرد عليه خالد: " استعملتني على العراق وأهله رجلان: سامع مطيع ناصح، وعدو مبغض كاشح؛ فأما السامع المطيع الناصح فإنا جزيناه ليزداد ودًّا إلى وده، وأما المُبغض المكاشح، فإنا دارينا ضغنه، وسللنا حقده، وكثّرنا لك المودة في صدور رعيتك، وإنَّ هذا جبى الأموال، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال؛ فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال"[٣].

حكم عبد الملك على ولاته بمقياس مادي بحت، يتمثّل في مقدار ما يُحصّلونه ويوفّرونه له ولدولته، دون أن يعنيه بأي كيفية جُمع؛ ولهذا وجّه حديثه إلى الأخوين: خالد وأمية، اللذينِ وليا له العراق وخراسان لكنهما لم يوفّرا له مثلما يُوفّر الحجاج. وعلى المستوى الظاهري فعبد الملك مُحقّ فيما ذهب إليه؛ لأنه يحكم بمقياس المنفعة الظاهرية فقط؛ لكن هذه الرؤية كانت مغلوطة بالنسبة للواليينِ المعزولينِ؛ ومن ثمّ

---

[١] خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، كان مع مصعب بن الزبير بالعراق، ثم لحق بعبد الملك وشهد معه قتل مصعب وولاه البصرة ثم عزله. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج١٦/١٢٢.

[٢] أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وال من أشرف عصره، ولي خراسان لعبد الملك بن مروان. ينظر ترجمتـــه: الزركلي، الأعلام، ج٢/٢٣ ومصادره.

[٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤/٢٥. **والملط:** الخبيث من الرجال. اللسان مادة (ملط)، ص٤٢٦٢، **والبرذون:** الدابة، والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب. اللسان، مادة (برذن)، ص٢٥٢. والحطم: المتكسر في نفسه، ويقال للفرس إذا تهدم لطول عمره: حطم، وفرس حطم: إذا هزل وأسنَّ فضعف. اللسان، مادة (حطم)، ص٩٢٦.

انبرى خالد في توضيح رؤيته السياسية والمالية الحصيفة، التي كان يرمي من ورائها إلى إقرار الأمر لبني أمية، وزيادة ودِّ الرعية لهم، وفي المقابل يُبيّن رؤية غيره المغلوطة، التي ظاهرها وفرة المال، وباطنها زيادة البغضاء ضدّ بني أمية؛ وقد صدّق عبد الملك كلام خالد، وأقرّ برأيه ورؤيته قائلًا: " هو والله ما قال خالد"[١].

وإذًا كان عبد الملك ضحية رؤيته المغلوطة التي حكّم فيها الجانب المادي النفعي القريب، دون أن يفطن إلى أضراره اللاحقة، وتبعاته الآنية، ويعدُّ تفسير خالد لرؤيته (مفارقة تفسيرية) كشف من خلالها عن الرؤية الحقيقية التي جعلت عبد الملك يُغيّر رأيه فيهما وحكمه عليهما، ولو بينه وبين نفسه. ويحمل إطار المفارقة التضاد بين جنباته، فعبد الملك يحب الحجاج ويفضّله؛ لأنه يجبي المال الوفير للدولة، في حين أنه عزل خالدًا وأمية؛ لأنهما أخلّا بهذا الجانب. أما الرؤية المعكوسة – من وجهة نظر الواليين– التي أقرّها عبد الملك، فأنهما يعدّان الأفضلين؛ لأنهما زرعا المحبة في قلوب الرعية تجاه بني أمية على حساب جمع المال؛ لكن زرع الحجاج لهم البغضاء جراء سياسته الباطشة في جمع المال للدولة. إن المفارقة في إحدى وظائفها أنها لا تهدف إلى جعل الناس يصدقون؛ بل تجعلهم يعرفون[٢].

٩– مفارقة التمرّد:

تتمّ مفارقة التمرّد عن الخروج عن المعهود وما تآلف عليه الناس في فكر، أو اعتقاد، أو سياسة ...ومما يمثلها هذا الحوار الذي جرى بين زياد بن أبيه[٣] وخارجي؛ حيث قال له زياد: "ما تقول فيّ وفي أمير المؤمنين؟" فقال الخارجي: " أما الذي تسميه أمير المؤمنين؛ فهو أمير المشركين، وأما أنت فما أقول في رجل أوله لزنية وآخره لدعوة"[٤].

---

[١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤/٢٥.

[٢] إبراهيم، نبيلة: المفارقة، مجلة (فصول)، مج (٧)، ع(٣–٤)، ١٩٨٧م، ص١٣٤.

[٣] زياد بن أبيه، أمير من القادة الدهاة الفاتحين، اختلف في اسم أبيه، فقيل: عبيد الثقفي، وقيل: أبو سفيان. ولدته سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي. أدرك النبيﷺ ولم يره وأسلم في عهد أبي بكر، تولى فارس لعلي بن أبي طالب، وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤هـ وولاه سائر العراق. توفي سنة ٥٣هـ. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٣/٥٣ ومصادره.

[٤] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤/٢٧.

وقد ظنّ زياد عندما استدعى هذا الخارجي أنه سيُغيّر آراءه، وسيُثني خيرًا عليه وعلى أمير المؤمنين؛ ولكن المفارقة أن الرجل تمرّد على الأمير في حضرته وأمام ناظريه، وأسمعه ما أصكّ سمعه، وناقض ظنّ زياد، مُثبتًا عكس ما توقّعه، مُتمرّدًا على تلقيب معاوية بأمير المؤمنين، وعلى زياد نفسه، واضعًا من نسبه، حاطًّا من شأنه، ولم يتحمّل زياد هذا الرد المُتمرّد المُفارق؛ فأمر بقتل الخارجي.

ويعدّ الخارجي في الشق الأول من المحاورة الكلامية صانعًا للمفارقة، بينما كان زياد ضحيتها؛ حيث تعرّض وسط مجلسه لحرجٍ من خلال نغمة تهكمية ساخرة؛ كشفت عن تمرّد داخلي قارٍّ في النفس، نال من نسبه وشخصه؛ لذلك يمكن أن تكون هذه المفارقة مُركبة تحتمل مفارقة التمرد، ومفارقة النغمة، فضلًا عن المفارقة العملية التي قام بها زياد نفسه؛ بأمره بقتل هذا الخارجي.

١٠- مفارقة الاقتباس والتضمين:

تعتمد مفارقة الاقتباس والتضمين هنا على توظيف بعض الآيات القرآنية في إطار مفارقي يتضاد مع رأي الطرف الآخر ويهدمه؛ ولهذا تأتي المفارقة بدلالة إقناعية حجاجية لا يمكن لغيرها من العبارات أن تنوب عنها، ومن ذلك ما رواه ابن عبد ربه عن معاوية في مجلسه الذي افتخر فيه بإعلاء الله شأن قومه وقبيلة قريش، مستشهدًا بآيات من القرآن الكريم، حيث قال: " أيها الناس، إن الله فضّل قريشًا بثلاث، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[١] ونحن عشيرته، وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٢]، فنحن قومه، وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾[٣]، ونحن قريش.

فأجابه رجلٌ من الأنصار:" علَى رَسْلِك يا مَعاويةُ، فإن الله يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾[٤] وأنتم قومه، وقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٥] وأنتم قومه.

---

[١] سورة الشعراء، الآية ١٢٤.

[٢] سورة الزخرف، الآية ٤٤.

[٣] سورة قريش، الآيات ١-٣.

[٤] سورة الأنعام، الآية ٦٦.

[٥] سورة الزخرف، الآية ٥٧.

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[١] وأنتم قومه، ثلاثة بثلاثة، ولو زدتنا لزدناك! فأفحمه"[٢].

وقد اتكأ معاوية على تفسيره للنص القرآني في إثبات مدى أفضلية قريش ومكانتها، فهم قوم النبيﷺ وعشيرته، وقد أثنى الله عليهم في أكثر من موضع في كتابه، ومن مفارقة الموقف أن ينبري له رجل من الأنصار مُستخدمًا السلاح ذاته ليُقوّض به ما بناه معاوية، ويهدم ما بناه من مآثر، مُستشهدًا لكل موضع افتخر به معاوية بموضع موازٍ له يتضاد معه، إن لم يكن تضادًا بالمعنى الحقيقي؛ لكنه يعدُّ في منزلة التضاد لأنه ينتقص من القيمة والقامة التي رُفعت لقريش وخاصة قوم معاوية، بما أخذه الله عليهم من التكذيب، والصدود عن الحق، وهجر القرآن. وهكذا كان الاستشهاد بالنص القرآني في هذا السياق الحجاجي دليلًا دامغًا، وحجة داحضة جعلت من معاوية ضحية لمفارقة صنعها هذا الرجل، استطاع من خلالها إلجام معاوية بالسكوت؛ بل وأظن أنه جعله عُرضة للسخرية والتهكّم في المجلس، من خلال مفارقة النغمة التهكمية في كل جملة كان يقولها بعد الاستشهاد بالآية. وكان مفاد الرسالة التي أراد الأنصاري إيصالها إلى معاوية: ألا يستخدم النص القرآني لتأكيد قضية من جانب واحد، وإحراز انتصار معنوي مؤيد من قِبل السماء يشيد بمكانة قومه؛ ذلك لأن النص ذاته يحمل في بواطنه ما يُقوّض هذه المكانة ويُثبتها لآخرين – أقصد الأنصار– الذين آووا النبي ﷺ ونصروه؛ على الرغم من أنهم ليسوا بقومه وعشيرته.

ومما يُمثّل هذا النوع من المفارقة التناصية القرآنية الإنتاجية ما دار بين رجل كوسج[٣] وآخر مُسبل[٤]؛ حيث تمثّل المُسبل بقول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ

---

[١] سورة الفرقان، الآية ٣٠.

[٢] العقد الفريد، ج٤/٢٨.

[٣] **الكوسج:** الذي لا شعر على عارضيه، وهو مُعرّب ولا أصل له في العربية. اللسان مادة (كسج)، ص٣٨٧١.

[٤] **المُسبل:** الذي يُطوّل ثوبه ويُرسله إلى الأرض إذا مشى، والسّبلة: ما على الشارب من الشعر، وقيل: هي اللحيــة كلهــا بأسرها، والسّبلة عند العرب: مُقدّم اللحية وما أُسبل منها على الصدر، يُقال للرجل إذا كان كذلك: رجل أسبل ومُسبّل، إذا كان طويل اللحية. اللسان، مادة (سبل)، ص١٩٣١.

رَبِّه وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾[1]، فردّ عليه الكوسج: ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾[2][3].

والصورة العامة مبنية على التضاد الشكلي، فالمُسبل يتخذ من كثرة شعر لحيته وطولها مجالًا للافتخار بذاته، والتندّر من الآخر الذي لا شَعّر له على لحيته، مستشهدًا بنص قرآني في سياق آخر؛ لكنه نحا بمعنى الآية في اتجاه آخر فصلّه على حالته، موازنة بهيئة الكوسج في إطار من السخرية والاستهزاء، وظنّ بذلك أنه أحاطه بشباك لا فكاك منها؛ غير أن الكوسج لجأ إلى الآلية ذاتها التي اعتمدها الأول، مرتكزًا على الاقتباس القرآني الموظف دلاليًّا لتقويض المعنى الذي وُظّفت فيه الآية في النص الأول، في إطار من المفارقة الهزلية التي أربكت الطرف الأول، الذي صار ضحية، وأراد إيصال رسالة مفادها أن الشيء لا يُقاس بظاهره ولا بكثرته، وإنما بمخبره وجوهره.

١١- مفارقة الردِّ بالمثل:

تعتمد هذه المفارقة على سرعة الجواب، وارتكازه على المعنى ذاته الذي ابتدأه الطرف الأول، ومن ذلك هذه المفارقات الساخرة التي وقعت بين معاوية وعقيل بن أبي طالب، ويُلاحظ في أغلب المحاورات التي جرت بينهما أن معاوية غالبًا يكون في موقع الضحية؛ إذ يتلقّى الطعنة النافذة التي تذهب بقوله أدراج الرياح، ويبقى رد عقيل يُجلجل في الأسماع، وتتعالى على أثره الضحكات تلو الضحكات...يروى أن عقيلًا دخل على معاوية فأجلسه على سريره، ثم قال له: " أنتم معشر بني هاشم تُصابون في أبصاركم! فقال عقيل: وأنتم معشر بني أمية تُصابون في بصائركم"[4].

فلم يتجاوز رد عقيل النقطة التي أثارها معاوية، وتكمن المفارقة في إيصال رسالة بليغة مُفادها أن عمى البصر وإن كان عيبًا؛ لكنه لا يتماثل أبدًا مع عمى البصيرة، التي تجعل المرء لا يُحسن تعقّل الأمور، وكأنه أراد أن يقول لمعاوية: أنتم لستم أهلًا لتوسّد هذا الأمر دون بني هاشم؛ لأن عمى البصيرة يمنعكم من السياسة

---

[1] سورة الأعراف، الآية ٥٨.

[2] سورة المائدة، الآية ١٠٠.

[3] العقد الفريد: ج٤/٤٢.

[4] العقد الفريد، ج٤/ ٧.

البصيرة. وعلى الرغم من أن بنية الألفاظ التي اعتمد عليها عقيل قليلة؛ لكنها حملت في طيّاتها الكثير من المعاني المحجوبة ومعنى المعنى، وربما لأن الرجل في ضيافة معاوية وينال رفده، فإنه لا يريد أن يُفصح أكثر، علمًا بأن قوله هذا يعدُّ صفعة مدوية خرجت بلهجة تهكمية ساخرة؛ ضجّ المجلس على إثرها بالضحك، وربما كان معاوية (الضحية) أولهم.

ومن مُفارقات الردّ بالمثل بين معاوية وعقيل ما رواه ابن عبد ربه من أن الأخير دخل عليه وهو مع أصحابه فقال معاوية: " هذا عقيل عمه أبو لهب!" فقال له عقيل:" وهذا معاوية عمته حمالة الحطب!" ثم قال: " يا معاوية، إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشاً عمتك حمالة الحطب؛ فانظر أيهما خير، الفاعل أو المفعول به"[١].

والمفارقة هنا كسابقتها تعدُّ مركبة، فهي من جهة مُفارقة الرد بالمثل؛ لأنها كانت في المضمون نفسه الذي بدأ به معاوية، الذي لم يكن يتوقّع بتاتًا أن يأتي الرد سريعًا ومُفحمًا هكذا، ومن جهة أخرى فهي مفارقة هزلية ساخرة؛ بل يمكن عدّ الجزء الأخير منها مفارقة للسلوك الحركي، الذي يصف وضعية الافتراش المهين في النار بما تحمله هذه الوضعية من معانٍ ظاهرة وباطنة!

والمفارقة هنا مكتملة الأركان، فعقيل الذي ظنّ معاوية أنه سيكون ضحية لسخريته؛ صار صانعًا لمفارقة ضحيتها معاوية، ونال من السخرية والاستهزاء هو وبنو أمية في هذا المجلس أضعاف ما نال عقيل. هذا بالإضافة إلى بروز عنصر التضاد الذي يُعلي من شأن عقيل في عمه (أبي لهب)، في مقابل (حمالة الحطب) عمة معاوية، ولعل قول عقيل: " فانظر أيهما خير، الفاعل أو المفعول به" تُؤكّد هذا المعنى.

وخير ما يُمثّل مفارقة الرد بالمثل، واعتراف الطرف الأول بذلك، ما حدث بين خريم الناعم[٢] ومعاوية، حيث دخل عليه الأول فنظر معاوية إلى ساقيه وقال: " أي

---

[١] العقد الفريد، ج٤/٧.

[٢] هو خريم بن خليفة بن الحارث بن خارجة، يُضرب به المثل في التنعّم فيُقال: " أنعم من خريم". كان معاصرًا للحجاج الثقفي. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٢/٣٠٤ ومصادره.

ساقين لو أنهما على جارية. قال: في مثل عجزيتك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: واحدة بأخرى والبادي أظلم"[١].

وتتجلّى جمالية هذه المفارقة في سرعة الإجابة، التي جاءت في الإطار نفسه من السخرية التي بُنيت على الهيئة الظاهرية التي ابتدأ بها معاوية؛ ظنًّا منه أنه أوقع بفريسته ونال منه؛ لكن الضحية المزعومة من وجهة نظر معاوية صار صانعًا لمفارقة هزلية ساخرة؛ حيث أوقعه (خريم) في الحفرة التي أراد أن يُرديه فيها معاوية. وربما نبعت المفارقة من رد خريم المُباغت لمعاوية، مع الفارق الاجتماعي والسلطوي والتباين الكلي بينهما الذي كان في جانب معاوية.

١٢- مفارقة النغمة:

تعني مفارقة النغمة أداء المنطوق بنغمة تهكمية يُعوّل عليها في إظهار التعارض أو التضاد بين ظاهر المنطوق وباطنه، بين سطحه وعمقه؛ بحيث تقتلع هذه النغمة التهكمية محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن المُضاد"[٢].

ومما يُمثّل هذه المفارقة ما دار بين شداد الحارثي[٣] ورجل وُصف بسواد البشرة، حيث قال له: " لمن أنت يا أسود؟ فقال: لسيد الحي يا أصلع! فقال شداد: ما أغضبك من الحق؟ فردّ الأسود قائلًا: الحق أغضبك. قلت: أولستَ بأسودَ؟ قال: أولستَ بأصلع؟!"[٤].

وقد اعتمد المتحاوران على صيغة الاستفهام، ولعلها من أكثر الأساليب التي تصلح لإنتاج المفارقة النغمية[٥]. وقد ارتكز الاستفهام هنا على التهكّم والسخرية بين الطرفين، ولم يتوقّع الطرف الأول الساخر – الذي صار ضحية- أن يكون الرد عليه بالمثل – خاصة أنه جاءه من عَبْد أسود (صانع المفارقة)- ولم يتوقّع أن يكون الرد

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣٢/٤. وفيه: " كان معاوية يتصف بعِظم العجيزة".

[٢] العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص٥٣.

[٣] لم أقف له على ترجمة، وقد ورد ذكره في (البيان والتبيين) للجاحظ بمثل هذا الخبر مع زيادات واختلافات، وقد كناه الجاحظ بأبي عبيد. ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هـارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٧١/٢.

[٤] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤٣/٤.

[٥] العبد، محمد: المفارقة القرآنية، ص١١٨.

ساخرًا ومُركّزًا على مثل ما أتي به من العيب الشكلي في إطار نغمة تهكمية إقرارية ساخرة، تحمل دلالات التنقّص والإهانة.

١٣- المفارقة الجدلية:

هي تلك المفارقة التي تدور حول قضية ما، يُدلي فيها كل طرف بدلوه، مُستعينًا بالحجج والبراهين التي تؤيّد قد موقفه؛ ومن ثمّ يأتي الطرف الآخر لينقض عليه حججه، ويردّ عليه قوله في القضية المنظورة بحجج وأدلة أخرى تُثبت ضعف رأي الطرف الأول وهوان حجته، ومن ذلك ما يُروى عن معاوية وبني هاشم الذين اجتمعوا عنده فقال لهم: " يا بني هاشم، إني خيري لكم لممنوح، وإن بابي لكم لمفتوح، فلا يقطع خيري عنكم علة، ولا يُوصد بابي دونكم مسألة؛ ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرًا مختلفًا: إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم: أعطانا دون حقنا، وقصَّر بنا عن قدرنا؛ فصِرتُ كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له، وهذا مع إنصاف قائلكم، وإسعاف سائلكم"[١].

فأقبل عليه ابن عباس (ت٦٨هـ) وقال: " والله، ما منحتنا شيئًا حتى سألناه، ولا فتحت لنا بابًا حتى قرعناه، ولئن قطعتَ عنا خيرك؛ لله أوسعُ منك، ولئن أغلقتَ دوننا بابك؛ لنكفنَّ أنفسنا عنك، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقان: حق في الغنيمة، وحق في الفيء، فالغنيمة ما غُلبنا عليه، والفيء ما اجتبينا، ولولا حقّنا في هذا المال؛ لم يأتك منا زائرٌ يحمله خفٌّ ولا حافر. كفاكَ أم أزيدك؟ قال: كفاني فإنك تهرُّ ولا تنبح"[٢].

وقد اعتمد معاوية في تسيير دفة سياسته على الحلم حينًا، وبذل المال حينًا آخر، والشدة في أحايين أُخر...ولكنه مع بني هاشم مال – كما يتضح من دلالات هذا النص– إلى اللين والدعة؛ ومع ذلك فإنهم – من وجهة نظره– بادلوه جفاء بعطاء، ومقاطعة بصلة، وقد عبر معاوية عن هذه العلاقة فيما يمكن أن نسميه (مفارقة الجفاء ونكران الجميل)، الذي صار فيها معاوية كما عبر عن نفسه كالمسلوب الذي لا حمد له.

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج١١/٤.

[٢] المصدر السابق نفسه، ج١١/٤.

وقد استعرض معاوية بما يراه من الحجة والبرهان فضائله على بني هاشم فيما يتعلّق بحُسن المعاملة وفضل العطاء... فيما يمكن أن نُسمّيه (مفارقة الإفصاح عن الذات)، وكأنه بذلك يمُنُّ عليهم! وانبرى له ابن عباس يُفنّد دعواه، معتمدًا على قرع كل حجة بأختها، وسوق الدليل تلو الآخر على بطلان زعمه، وأن ما عدّه معاوية تفضّلًا منه عليهم؛ إنما هو حقّهم يُوفّى إليهم... وهكذا حتى نهاية رده؛ إذ يتوقّف عند كل معنى من معاني معاوية لينقضه ويُفصّل وجه الحقيقة فيه فيما يمكن أن نسميه بـــ(النقيضة). ولم يقتصر الأمر على هذه المحاورة؛ بل إن ما دار بين بني أمية وبني هاشم غالبًا ما يدور في فلك هذه الآلية.

وتتجلّى المفارقة الجدلية أو الحجاجية فيما قدّمه ابن عباس من حجج منطقية حملت ضدية المعاني التي ساقها معاوية، كما أنها جعلت من ابن عباس صانعًا للمفارقة في حين صار معاوية ضحيتها، وكشفت عن رؤية مغلوطة تكوّنت لدى الأخير من أنه يتفضّل على بني هاشم بعطائه؛ لكن لما تجلى الأمر، وتبدّدت حنادس الجهالة؛ أقرّ معاوية لابن عباس بقوة حجته، وانتصار جولته. وهكذا كانت المفارقة في هذا الحوار مركبة تضم بين طياتها أكثر من نوع، وإن غلب عليها الجانب الجدلي الحجاجي.

١٤- المفارقة المنطقية:

المفارقة المنطقية قريبة الشبه والنسبة من المفارقة الجدلية؛ لأنها تعتمد على الحجة والبرهان؛ لكن صانع المفارقة يُقدّمها من خلالها عرض مقدمات منطقية يستخلص منها نتائج تناقض رأي الطرف الأول وتدحضه، ومن ذلك هذا الحوار الذي دار بين محمد بن الفضل[١] وبعض قرابته، الذين تنازع معهم في ميراث، فقال له أحدهم: " يا بن الزنديق! قال له: إن كان أبي كما تقول وأنا مثله؛ فلا يحلّ لك أن تُنازعني في هذا الميراث؛ إذ لا يرث دينٌ دينًا"[٢].

فاتخذ ابن الفضل من قول الآخر المُنازِع (يا بن الزنديق) مقدمة بنى عليها نتيجة منطقية، أو إن شئنا الدقة حكمًا فقهيًّا؛ إذ لا يرث المسلم الزنديق، والعكس. وتتجلى المفارقة هنا في وجود ضحية وهو طالب الميراث، وصانع المفارقة (محمد بن الفضل)، وتحقّق فيها عنصر السخرية والتهكّم من هذا القريب الذي تسرّع في إصدار

---

[١] هناك أكثر من شخص بهذا الاسم، ولعله كان موجودًا في العصر العباسي؛ بدليل إشارته إلى الزندقة.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٢٨/٤.

حكم جزافي لم يُلقِ له بالًا، وربما سيكون سببًا وجيهًا في عدم مطالبته بميراثه. أما جانب التضاد الذي ولّد المفارقة، فهو مخالفة الواقع الفعلي لما ادعاه هذا القريب؛ لأنه إذا كان ابن الفضل كما يقول لما سمّاه أبوه محمدًا، ولما فلت من قبضة الدولة التي كانت تتعقّب الزنادقة... ولذلك استخدم ابن الفضل (إن) التشكيكية في قوله :"إن كان أبي كما تقول..."؛ لأنه يعلم مدى بطلان هذه النسبة.

ومما يُمثّل هذه المفارقة المنطقية ما دار بين مروان بن الحكم (ت٦٤هـ) والحسن بن علي(ت٥٩هـ)؛ حيث دخل الأخير على مجلس يضم معاوية وآخرين ومروان، الذي ابتدر الحسن قائلًا:" أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن، ويُقال: إن ذلك من الخَرَق! فقال الحسن: ليس كما بلغك، ولكنّا – معشر بني هاشم– أفواهنا عذبة شفاهها، فنساؤنا يُقبلن علينا بأنفاسهن وقُبلهن، وأنتم – معشر بني أمية– فيكم بَخَرٌ شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداغكم؛ فإنما يشيب موضع العذار من أجل ذلك"[1].

فأراد مروان أن يسخر من هيئة الحسن وبزوغ الشيب في شاربه، ناسبًا ذلك إلى الحمق؛ ولكن كان الحسن له بالمرصاد، وفتك به فتك الأسد بفريسته؛ حيث صحّح له فهمه الخاطئ من خلال قياس منطقي بناه على مقدّمات تخلّص منها إلى نتائج منطقية أوقعت مروان ضحية استهتاره بالحسن. فالشيب الذي يراه تسارع إلى شوارب بني هاشم؛ إنما هو من تأثير أنفاس نسائهن، اللاتي يُقبلن عليهم بأنفاسهن وقُبلهن، على العكس من بني أمية، الذين يبدو أنهم عُرفوا بكراهة رائحة أفواههم؛ ومن ثمّ كانت نساؤهن تُعْرض عنهم بأفواههن وأنفاسهن إلى أصداغهم؛ لذلك يشيب من بني أمية الصُّدغ والعذار قبل شواربهم.

ولا تقف الدلالات في المفارقة عند الظاهر، وإنما أحيانًا تتعدّى إلى دلالات خفية يتغيّاها صانعها؛ لذلك فالحسن هنا وإن كان أراد السخرية المباشرة من هيئة بني أمية وتهكّمه بهم؛ لانصراف نسائهم عنهم لبُخر أفواههم؛ لكن – من وجهة نظري– ربما

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤/٢١.

والعذار: عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار، والعذران: جانبا اللحية، يقال: ما أحسن عذاره: أي خط لحيته. وبخر: البخر: الرائحة المتغيرة في الفم. وهو النتن في الفم. اللسان، مادة (بخر)، ص ٢٢٠-٢٢١.

تعدّى ذلك إلى دلالات أخرى تكمن في عدم القبول العام لبني أمية، فإذا كانت نساؤهم انصرفت عنهم؛ فمن باب أولى أن ينصرف عنهم الآخرون!

١٥- المفارقة السقراطية:

تُعدّ المفارقة السُّقراطية المفارقة الأم التي انبثقت عنها شتى أنواع المفارقات الأخرى، وتُسمّى هذه المفارقة كذلك بـــ(مفارقة التواضع الزائف)، وتبدو البيئة النثرية أكثر استعدادًا لقبولها؛ لاقتضائها أساليب درامية وحوارية تُتيح مجالًا لإيجاد مفارقة سقراطية قائمة على مبدأ التجاهل لا الجهل[١]. وتتشابه هذه المفارقة مع ما يُعرف في البلاغة القديمة بـــ(تجاهل العارف)[٢].

وقد كان سقراط يُحاور الطرف الآخر بطريقة ساذجة يدَّعي فيها جهله بما يسأل عنه، وتكمن هذه المفارقة في خلخلة يقين الذات المُدَّعية للمعرفة، وحضّها على تأمل ذاتها مرة أخرى[٣]. كما تتحقّق هذه المفارقة في التواضع الخادع وادّعاء الجهل؛ إخفاء للحقيقة وخداعًا للمحاورة[٤].

ومما يُمثّل هذه المفارقة السقراطية، هذا الحوار الذي جرت أحداثه بين الفرزدق (ت١١٤هـــ) وهشام بن القاسم[٥]، الذي قال: " جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه فقلت: من الكهل؟ قال: وما تعرفني؟ قلتُ: لا! قال: أبو فراس. قلتُ: ومن أبو فراس؟ قال: الفرزدقُ. قلتُ: ومن الفرزدق؟ قال: وما تعرف الفرزدقَ؟ قلتُ: لا أعرف الفرزدقَ إلا شيئًا يفعله النساءُ عندنا يتشهّون به كهيئة السويق. قال: الحمدُ لله الذي جعلني في بطون نسائكن يتشهّون بي"[٦].

---

[١] ينظر: شبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص١٣٣.

[٢] **تجاهل العارف** كما عرفه ابن أبي الأصبع: " هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة لا تجاهلًا منه به؛ ليخرج كلامـــه مخرج المدح أو الذم، أو ليدلّ على شدة التذلّه في الحب، أو لقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ". تحرير التحبيـــر، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٣٥. وينظر: مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج٣٨/٢.

[٣] بن صالح، نوال: خطاب المفارقة في الأمثال العربية (مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا)، ص١٦٣.

[٤] ينظر: مبارك، زهير: السخرية في الرواية العربية، مركز الرواية العربية للنشر والتوزيـــع، تـــونس، ٢٠١١م، ص١٨.

[٥] لم أقف له على ترجمة.

[٦] ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤٣/٤.

وقد ادّعى هشام (صانع المفارقة) جهله بالفرزدق؛ بغية في استدرار معلومات عنه، أو للسخرية منه وإضحاك المجلس عليه، أو توبيخه...وكان الفرزدق ضحيته، الذي انطلى عليه الأمر، وانساق معه يجيبه عما سأل، وإن أبدى تعجّبه ودهشته؛ لأنه من الشهرة بمكان، وغالبًا لم يُشاركه هذا اللقب غيره. ولم يشأ هشام أن يبتدر بسؤاله عن هذا اللقب؛ حتى لا يكشفه الفرزدق، وإنما سأله أولًا: من الكهل؟ ثم تمادى الحوار بينهما حتى قال له: أنا الفرزدق؛ وكان هذا مكمن سخرية هشام والمجلس!

ولم يُفوّت الفرزدق الأمر بعد أن تيقّن بالخدعة التي وقع في شِراكها؛ وإذ به يُحوّل مجرى الحديث لينال من هشام، في مفارقة هزلية ساخرة كسرت توقّعه. والمفارقة هنا مركبة، فهي (سقراطية) صانعها هشام، وضحيتها الفرزدق، وهي في نهايتها (هزلية) ساخرة صانعها الفرزدق وضحيتها هشام.

١٦- المفارقة الرومانسية:

تقوم المفارقة الرومانسية على بناء عالم أو صنع وهم جمالي على شكل ما؛ وفجأة يقوم بتدمير هذه الوهم وتحطيمه، من خلال تغيير في النبرة، أو انقلاب في الأسلوب، أو من خلال ملاحظة ذاتية سريعة وعابرة، أو من خلال فكرة عاطفية عنيفة ومتناقضة[١].

وربما كان هذا الحوار الذي دار بين عمرو بن الأهتم[٢] والزبرقان بن بدر[٣] في حضرة النبي ﷺ يقترب من هذه المفارقة؛ حيث سأل النبي ﷺ عمرًا عن الزبرقان، فقال عمرو عنه: "مُطاع في أدانيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. قال الزبرقان:

والفرزدق: الرغيف، وقيل: فتات الخبز، وقيل: قطع العجين. والفرزدق: الفتوت الذي يفت من الخبز الذي تشربه النساء. (ابن منظور، اللسان، مادة فرزدق، ص٣٣٨٧).

[١] ينظر: سليمان، خالد: المفارقة في شعر محمود درويش، أبحاث اليرموك- سلسلة الآداب واللغويات- الأردن، مج١٣، ع(٢)، ١٩٩٥م، ص٢٣٦.

[٢] عمرو بن الأهتم (ت٥٧هـ): عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، من أهل نجد، وفد على النبي ﷺ فأسلم. شعره جيد، ولُقّب أبوه بالأهتم؛ لأن ثنيته هُتمت يوم الكلاب. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٧٨/٥ ومراجعه.

[٣] الزبرقان بن بدر (نحو ٤٥هـ): الزبرقان بن بدر التميمي السعدي، صحابي من رؤساء قومه، قيل: اسمه الحصين، ولُقّب بالزبرقان، ولاه الرسول ﷺ صدقات قومه...كُفّ بصره في آخر عمره، وتوفي في أيام معاوية. كان فصيحًا شاعرًا. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ج٤١/٣ ومراجعه.

والله يا رسول الله، لقد علم مني أكثر من هذا؛ ولكن حسدني. قال عمرو بن الأهتم: أما والله يا رسول الله، إنه لزمر المروءة، ضيّق العطن، أحمق الولد، لئيم الخال. والله يا رسول الله، ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى. رضيت عن ابن عمي فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب!" فقال النبي ﷺ: " إن من البيان لسحرًا"[(١)].

وقد مدح عمرو الزبرقان بما فيه أولًا، عندما كان عنه راضيًّا، أما المفارقة فتجلّت في ذمِّه إياه عندما سمع منه ما أسخطه عليه؛ حيث هدم ما بناه سابقًا، وإن لم يكن بنفي ما أقرّه من صفاته الإيجابية، وإنما بإثبات صفات أخرى تُمثّل الجانب السلبي من شخصيته، وهو في كلٍّ صادق فيما قال؛ لكن المتلقي السامع لحديثه ومدحه أولًا سرعان ما يتناسى ذلك ليَعْلَق في ذهنه ما قال آخرًا. وتظهر البنية الضدية في هذه المفارقة من خلال ازدواجية الرؤية للشخصية الواحدة، بما يمكن أن نسميه (مفارقة التنافر البسيط)؛ لأن عمرًا جمع في حديث واحد بين إيجابيات الشخصية الواحدة وسلبياتها. وكانت المفارقة الرومانسية هنا وسيلة لكشف ما في الحقيقة الواحدة من تناقضات؛ ومن ثمَّ فإنها تصبح الوسيلة المناسبة لفهم هذه التناقضات، وإيجاد حالة من التوازن لدى الفرد لتمكينه من الاستمرار في هذه الحياة[(٢)].

١٧- مفارقة المفاجأة:

إذا كانت المفارقة في حدِّ ذاتها مفاجأة وخروجًا عن المتوقّع؛ فإن هذا لا يمنع من أن بعض المفارقات ينطبق عليها عنصر المفاجأة بوضوح؛ حيث يفاجأ صانع المفارقة

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٦/٤.

وقد ورد نص قول النبي ﷺ: " إن من البيان لسحرًا" في صحيح البخاريُّ، كتاب الطب، باب (إنَّ مِن البيان سحرًا)، الحديث رقم (٥٧٦٧) (ص ١٢٣٨)، عن عبد الله بن يوسف: أخبرَنا مالك، عن زيد بن أسلمَ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه قَدِمَ رجُلان مِن المَشْرق، فخَطَبَا فعَجِبَ الناسُ لِبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرًا"، أوْ "إنَّ بَعْضَ البَيانِ سِحْرٌ". وتكرر الحديث برواية أخرى، الحديث رقم (٥١٤٦) (ص ١١١٧). ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

شديد العارضة: شديد الناحية ذو جلد وصرامة وقدرة على الكلام مفوه (اللسان، مادة عرض، ص٢٨٩٣)، **وزمر المروءة:** قليل المروءة (اللسان، مادة زمر، ص١٨٦٢)، **وضيق العطن:** رجل رحب الطعن: أي رحب الذراع، كثير المال، واسع الرجل. وضيق العطن على العكس من هذه المعاني (اللسان، مادة عطن، ص٣٠٠٠).

(٢) ينظر: سليمان، خالد: المفارقة في شعر محمود درويش، ص٢٣٦.

بحالة مُغايرة لما كان متوقّعًا حدوثه، أو راسمًا له في مُخيلته؛ ومن ثمَّ ربما صار ضحية لمفارقته.

ومن المواقف التي يتجلّى فيها هذا العنصر ما وقع بين الحسن بن علي وعمرو بن العاص في حضرة معاوية؛ حيث وفد الحسن على معاوية، فقال له عمرو: " يا أمير المؤمنين، إن الحسن لَفهٌ، فلو حملته على المنبر فتكلم، وسمع الناس كلامه؛ عابوه وسقط من عيونهم. ففعل، فصعد المنبر وتكلّم وأحسن، ثم قال: أيها الناس، لو طلبتم ابنًا لنبيّكم ما بين لابتيها؛ لم تجدوه غيري وغير أخي. وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. فساء ذلك عمرًا، وأراد أن يقطع كلامه، فقال له: أبا محمد، أتصف الرطب؟ فقال: أجل. تلقحه الشمال، وتُخرجه الجنوب، وتُنضجه الشمس، ويصبغه القمر. قال: أبا محمد، هل تنعت الخراءة؟ قال: نعم، تُبعد المشي في الأرض الصحصح حتى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، ولا تستنج بالقُمامة والرِّمة– يريد الروث والعَظْم– ولا تبُل في الماء الراكد"[1].

وقد أراد عمرو أن يُوقع الحسن في حرج أمام الناس؛ ظنًّا منه أنه كليل اللسان – حيث كانت العرب تُقدّر الفصاحة، وتُعدّها من أسس السيادة– ومن ثمّ يسقط في أعينهم...ولهذا يمكن أن نعدّ عمرًا صانعَ المفارقة، في حين كان الحسن ضحيتها، والمفارقة هنا يمكن أن نُسمّيها (مفارقة الخدعة)؛ ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد تكلّم الحسن وأجاد؛ بل وأحرج عمرًا ومعاوية؛ لأنه تطرّق إلى شأن سياسي تعلّق بأمر ولاية العهد. لقد تفرّد الحسن وأخوه بأنهما حفيدا رسول الله ﷺ وهذا ما لم يُوجد في غيرهما على امتداد الزمان والمكان؛ وهنا وقع عمرو ضحية لتخطيطه، وصار ضحية لمفارقة المفاجأة، التي لم يحسب لها حسبانًا، وصار الحسن صانعًا للمفارقة، ولم يجد عمرو إلا التملّص من هذا الموقف، وذلك بأن غيّر مجرى كلام الحسن وسأله عن أمور أخرى لا تمتُ إلى ما كان بشأن الحديث عنه؛ ليُشتّت انتباه

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤/٢٠-٢١.

والفهُ: الكليل اللسان العيي عن حاجته، والفهة: السقطة والجهلة (اللسان، مادة فهه، ص٣٤٨١). والصحصح: الصحصاح والصحصحان: ما استوى من الأرض، والجمع: الصحاصح. والصحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار (اللسان، مادة صحصح، ص٢٤٠٢).

الحسن؛ ولكن دون جدوى. ومثل هذا السلوك من عمرو يمكن أن نُطلق عليه (مفارقة التملّص)، التي صنعها عمرو وكان ضحيتها الحسن، الذي انساق في الإجابة عنها.

وهكذا فالمفارقة هنا مُركّبة، ابتداء من مفارقة الخدعة من قِبل عمرو، فمفارقة المفاجأة والورطة، التي كان ضحيتها عمرو، ثم أخيرًا مفارقة التملّص التي تخلّص بها عمرو من حديث الحسن الذي لم يرُق له.

١٨- مفارقة مراوغة الآخر:

تعتمد المفارقة أحياناً على الحِيلة والمُراوغة للإيقاع بالضحية، خاصة إذا كان صانع المفارقة يتسم بالذكاء، ويمكن التمثُّل على هذا النوع بما جرى في مجلس معاوية من لَعْن علي بن أبي طالب ﷺ على لسان أحد الحضور، وقد استنكر الأحنف بن قيس ذلك؛ مما حدا بمعاوية إلى إجباره على أن يصعد المنبر ويلعن عليًّا، فقال الأحنف: " يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك، فوالله لا تجري فيه شفتاي أبدًا! قال: قم فاصعد المنبر. قال الأحنف: أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني؟ قال: أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله، وأصلِّ على نبيه ﷺ ثم أقول: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليًّا، وإن عليًّا ومعاوية اختلفا فاقتتلا، وادَّعى كل واحد منهما أنه بُغي عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمِّنوا رحمكم الله. ثم أقول: اللهم العن أنت، وملائكتك، وأنبياؤك، وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللهم العنهم لعناً كبيرًا! أمِّنوا رحمكم الله"[١].

وكان هوى الأحنف مع علي، وكان حليمًا ذا خلق؛ لهذا استنكر أن يلعن عليًّا وقد أفضى إلى ربه، ولما أكرهه معاوية على أن يصعد المنبر ويلعنه على الملأ؛ لجأ الأحنف إلى المراوغة التي تعفيه من ذلك؛ حيث وضع معاوية بين قطبي الرحى وقال له: " والله لأنصفنك في القول والفعل". ولما استفسر معاوية عن كيفية ذلك، كان رده مفارقة ذكية في المراوغة من لعن علي من خلال التمويه في القول، وجعله حمّالًا لأوجه من الدلالة المزدوجة غير الصريحة النسبة في إلحاق اللعنة بعلي، وإنما بمن بغى على صاحبه منهما. وهكذا صار معاوية ضحية لمراوغة الأحنف، وفطن إلى

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤/٣٠.

مكره ودهائه ومراوغته في الخروج من هذا المأزق؛ ومن ثمَّ قال له مُذعنًا: "إذًا نُعفيك يا أبا بحر"[١].

والمفارقة هنا أن الأحنف ربما يعلم كما يعلم معاوية؛ أن الأخير هو الذي بغى على علي، وأن فئته هي الفئة الباغية؛ ولذلك فإن معاوية من يستحق اللعن. ولم يكن بوسع الأحنف أن يقولها مباشرة وصريحة، وإنما لجأ إلى المراوغة والمكيدة، التي أوقعت معاوية بين براثنه.

١٩- مفارقة الادّعاء الكاذب:

تتجلّى حيثيات هذه المفارقة في أن ينسب الإنسان إلى نفسه أمرًا لا يُجيده، أو يصف نفسه بصفات غير موجودة فيه، ومما يُمثّلها هذا الحوار الطريف الذي رواه ابن عبد ربه قائلًا: "ضاف رجل قبيح الوجه، دني الحسب أبا عبد الله الجماز[٢]؛ فجعل يفخر ببيته، فقال له الجماز: اسكت فقباحة وجهك ودناءة لفظك يمنعاننا من سبك، فأبى إلا التمادي في اللجاج، فقال له الجماز:

لـــو كنـــت ذا عِـــرْض هجوناكـــا أو حـــــــسن الوجـــــــه .....[٣]

جمعـــت مـــع قبحـــك لؤمًـــا فللـــ ـــــــقبح أو اللـــــؤم تركنـــــاك[٤]

وشاءت الأقدار أن يكون الشاعر أبو عبد الله الجماز ضيفًا على رجل يعيش في أحلام اليقظة، التي تتنافى كليًّا مع واقعه الحقيقي، فهو دنيء النسب حقيقة؛ لكنه يُطامح السحاب زُهوًّا، ويدَّعي نُبل الجُرثومة، وشرف الأرومة، وهو كذلك قبيح الوجه ويُخيّل إليه أنه يوسف عليه السلام وهذه مفارقة تستدعي السخرية والضحك، خاصة أن الطرف الآخر يعلم حقيقة الطرف الأول!

ويبدو أن الجماز تقبّل الأمر أولًا على مضض؛ ولكنه ما فتئ يخرج عن صمته، ويُكشّر عن أنيابه، وينشب أظافره في هذا الدَّعي الكذاب... وما كان للطرف الأول أن يسكت إلا بعد أن يستيقظ من هذه الأحلام الوردية على صوت قرع الهجاء الساخر،

---

[١] المصدر السابق نفسه، ج٤/٣٠.

[٢] أبو عبد الله الجماز: ينظر ترجمته: ابن المعتز، أبو عبد الله: طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م، ص٣٧٣-٣٧٥.

[٣] مكان النقط لفظ مُستهجن.

[٤] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/٥٦.

الذي أماد الأرض من تحت قدميه، وصكَّ سمعه مُجلجلًا بحقيقة وضاعة أصله، وحقارة نسبه، ودمامة وجهه!

وهكذا يمكن عدّ مواجهة الجماز للرجل وإبلاغه بحقيقة أمره مفارقة هجائية أو مفارقة النغمة؛ لأن النبرة في سياق الأبيات تنمّ عن حِنق مُتناه على هذا الرجل، الذي يصدق فيه قول من قال: (كَذِبَ الكذبةَ وصدَّقها)؛ وبذلك صار هذا الرجل ضحية لصانع المفارقة (الجماز). كما تحقّق في المفارقة عنصر السخرية والتهكّم، إضافة إلى التضاد الذي يُغلّف إطار الموقف برُمّته.

٢٠- المفارقة التصويرية:

يُعرّف د. علي عشري زايد المفارقة التصويرية بأنها: " تكنيك فني يستخدمه صانع المفارقة؛ لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض... والتناقض فيها في أبرز صوره فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف"[١].

وتُقسّم المفارقة التصويرية شكلين، الأول: طرفا المفارقة من الواقع المعاصر، أما الشكل الثاني فيُستمد فيه أحد الطرفين أو كليهما من التراث[٢]. وقد تحقّق هذا النمط من المفارقة في بعض محاورات الأجوبة المُسكتة، يقول ابن عبد ربه[٣]: " لقي خالد بن صفوان الفرزدق، وكان كثيرًا ما يداعبه، وكان الفرزدق دميمًا، فقال له: يا أبا فراس، ما أنت بالذي ﴿لَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[٤]. قال له: ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[٥].

والمفارقة هنا ذاتَ طرَفَ تراثي واحد؛ حيثُ إنَ كلا المتحاورينِ استدعى شخصية تراثية في مقام الموازنة مع الشخصية المعاصرة دون أن يُصرّح باسمه نصًّا؛ لأنه اقتبس نصًّا قرآنيًّا التزم فيه بالنقل الحرفي، واعتمد فيه على وعي المتلقي ومعرفته

---

[١] عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص١٣٠.

[٢] المرجع السابق نفسه، ص١٣٣.

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/٤٤.

[٤] سورة يوسف، الآية ٣١.

[٥] سورة القصص، الآية ٢٦.

بالشخصية التي تتحدّث عنها الآية. والشق الأول من هذه المفارقة كان صانعه خالد بن صفوان وضحيته الفرزدق، واعتمد على السخرية من هيئة الفرزدق الدميمة، ومن قمة المفارقة أنه استجلب له صورة مناقضة تمامًا؛ حيث وزانه بيوسف ﷺ ليس لإثبات حسنه، وإنما لنفيه من خلال انصراف النساء عنه لقبح طلعته، وعدم رغبتهن فيه. والمفارقة التصويرية هنا مبنية على استحالة التوافق بين الطرف المعاصر(الفرزدق)، والطرف التراثي (يوسف ﷺ).

أما الشق الآخر من المحاورة فيمكن أن نطلق عليه (مفارقة الرد بالمثل)؛ لأن الفرزدق اعتمد على الآلية التقنية ذاته الذي استخدمه خالد، مستشهدًا بنص قرآني اعتمد فيه على المخالفة بين الطرفين: المعاصر والتراثي؛ لنفي صفات إيجابية ينماز بها الطرف التراثي، وإقرار بديلها السلبي في الطرف المعاصر، مرتكزًا على وعي المتلقي بالسياق الأصلي الذي وردت فيه الآية المُستشهد بها في مقام إثبات القوة الجسدية والأمانة لموسى ﷺ وكانت المؤهلات التي رغّبت الفتاة في الزواج منه، أما خالد فلفقده الخلتين؛ فيبدو أنه لم يكن مرغوبًا فيه من قِبل النساء، وربما كان عدم زواجه حقيقة مُؤكدًا لذلك.

وهكذا فالمفارقة التصويرية هنا فيها تعريض وسخرية ونيل من الضحية (خالد) بأكثر مما ناله من الفرزدق، وكانت المفارقة بشكل عام مجالًا للتندّر والفكاهة، ولعل بداية الخبر: " وكان كثيرًا ما يداعبه)؛ يؤكد أنها كانت في إطار الممازحة أكثر منها في إطار الجدية والتشفي.

وختامًا، فإن الأجوبة المُسكتة حافلة بجماليات فنية على مستوى المعنى والتشكيل، وكانت المفارقة بأنواعها المختلفة إحدى هذه الفنيات التي اتكأت عليها هذه الأجوبة في سبيل إيصال رسالة إلى الطرف الآخر، قد تعتمد على المباشرة أحيانًا، والتعريض والسخرية في أحايين كثيرة؛ للنيل منه لأنه من بدأ بالمشاكسة القولية، التي استدعت أن يكون الرد مدويًّا، وعنيفًا، ومُقنعًا، ومُضحكًا، ومُتشفيًّا... كما تبيّن من دراسة أنواع المفارقة في الأجوبة المُسكتة أنها مُتشابكة ومُترابطة ومتداخلة، وقد تحتمل المفارقة أكثر من مُسمّى، على حسب مُقتضيات السياق وتوجّه المعنى.

الخاتمة:

تناول هذا البحث المعنون بـــ(المفارقة في الأجوبة المُسكتة في ضوء ما ورد بالعقدُ الفريدُ أنموذجًا) شقين من الدراسة، تناول الشِّق الأول الجانب التنظيري المتعلّق بتحديد مصطلح المفارقة لغة واصطلاحًا، وتطوّره، وعناصر المفارقة، ووظيفتها، وتقاربها مع بعض الفنون البلاغية التراثية، ثم التعريف بالأجوبة المُسكتة وخصائصها الفنية.

أما الشق الآخر فتناول الجانب التطبيقي، ودراسة بنية المفارقة وأنواعها في فنّ الأجوبة المُسكتة بمدوّنة كتاب (المجنبة في الأجوبة)، ضمن كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه، وقد توصّل البحث إلى مجموعة من النتائج بيانها كالآتي:

- تعدّدت أشكال المفارقة في فن الأجوبة المُسكتة؛ حيث يمكن تحديد النوع بناء على مقتضيات السياق وتوجّه المعنى؛ بل في أحيان كثيرة حوى الحوار نفسه أكثر من مفارقة، وقد تكون المفارقة مُركّبة تحمل أكثر من نوع.
- من أنواع المفارقات التي اشتملت عليها الأجوبة المُسكتة: مفارقة السلوك الحركي، والمفارقة اللفظية، ومفارقة النغمة، والمفارقة الهزلية، والمفارقة الهجائية، ومفارقة الادعاء الكاذب، ومفارقة كسر التوقّع، ومفارقة التنافر البسيط، ومفارقة الاقتباس (التناص)، ومفارقة المفاجأة....وهي مفارقات يفرضها تطوّر الحدث، وقد يكون منشأها قول الطرف الأول للمحاورة، الذي يستفزّ الطرف الآخر، أو يتهكّم به، أو يسخر منه...ومن ثم يأتي الردّ غالبًا كاسرًا لأُفق التوقّع، ومحقّقًا لعنصر المفاجأة.
- اعتمدت المفارقات في هذه الأجوبة على الفكاهة والسخرية تارة، والتعريض والهجاء تارة أخرى، والتشفي وإرواء الغليل تارة ثالثة، وكان رد الطرف الثاني عنيفًا يُلجم الطرف الأول ويُجبره على السكوت على مضض، أو قد يُطلق العنان للضحك من الضحية، وهي غالبًا سلاح للهجوم الساخر.
- تتوزّع الأدوار بين صانع المفارقة وضحيتها في هذه الأجوبة؛ إذ أحيانًا يكون الطرف الأول من المحاورة صانعًا للمفارقة، ويكون طرفها الآخر الضحية؛ ولكن غالبًا تتبدّل الأدوار فيصير الطرف الأول ضحية؛ لأنه لم يكن يتوقّع أن

يكون ردّ الطرف الثاني بهذه الكيفية... وبناء على فحوى هذا الرد وتأثيره في الطرف الأول يتحدّد نوع المفارقة.

- تجلّت وظائف المفارقة في الأجوبة المُسكتة في أنها تسعى إلى إيجاد نوع من التوازن؛ حيث تُعري الحقائق وتكشفها من خلال إعادة التوازن لصانعها، الذي يفرغ شحنات نفسه الملتاعة تجاه ضحيته الذي استفزه وحرّك مشاعره، وهي إضافة إلى ذلك تعدُّ أداة إصلاحية؛ لأنها قد تُغيّر وجهة نظر مغلوطة، أو قد يكون هدفها تربويًّا، أو حتى هزليًّا لإضفاء جو من السخرية والضحك على المجلس.
- ويبقى أن هذا الفن النثري الثرَّ يحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل؛ لكشف جوانب الجمال الأسلوبي والتميّز الفني بين طياته في جوانب أخرى تستدعي اختلاف منهجية القراءة، ومنها على سبيل المثال: الحجاج، والتداولية، والشفاهية... وغيرها مما تكشف عنه الأيام القادمة.

والله الموفق والمستعان، والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث:

أولًا: المصادر:

- القرآن الكريم.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ): الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٤٢٨هـ): العقد الفريد، شرحه وضبطه ورتب فهارسه: أحمد أمين، وإبراهيم الإبياري، وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

ثانيًا: المراجع العربية والمُعرّبة:

- ابن أبي الأصبع (ت٦٥٤هـ): تحرير التحبير، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد بن أحمد (ت٣٢٢هـ): الأجوبة المُسكتة، دراسة وتحقيق: د. مي أحمد يوسف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦م.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق وشرح/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- الحازمي، إبراهيم عبد الله: الأجوبة المُسكتة، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٥، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٣): معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
- الخفاجي، قيس حمزة: المفارقة في شعر الرواد، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، دار الأرقم للطباعة والنشر، بابل، العراق.
- زايد، على عشري: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط٤، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١٥)، ٢٠٠٢م.
- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- سليمان، خالد: المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩م.
- شبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- شوقي، سعيد: بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.

- العبد، محمد: المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- ابن المعتز، أبو عبد الله (ت٢٩٦هـ): طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السمرائي، د.ط، د.ت.
- مبارك، زهير: السخرية في الرواية العربية، مركز الرواية العربية للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١١م.
- متولي، نعمان عبد السميع: المفارقة اللغوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، مصر، ٢٠١٤م.
- مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- المعجم الوسيط، ط(٤)، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- ابن معصوم، علي صدر الدين (١١١٩هـ): أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ): لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وزميليه، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ميويك، د. سي: المفارقة وصفاتها، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٧٧م.
- الهوال، حامد عبده: السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الوقاد، نجلاء حسين: بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري: دراسة أسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.
- يوسف، حسني عبد الجليل: المفارقة في شعر عدي بن زيد: دراسة نظرية تطبيقية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

ثالثًا: الرسائل الجامعية:

- ابن صالح، نوال: خطاب المفارقة في الأمثال العربية (مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- عباس، سناء هادي: المفارقة الشعرية (المتنبي أنموذجًا)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد.

رابعًا: الدوريات:

- إبراهيم، نبيلة: المفارقة، مجلة (فصول)، مج (٧)، ع(٣+٤)، ١٩٨٧م.

- إسماعيل، يوسف أحمد: بلاغة المفارقة وتحليل الخطاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر، ع(١٨)، أبريل،٢٠١٦م.
- الأمين، محمد سالم ولد محمد: اللغة المفارقة في رواية شرف لصنع الله إبراهيم، مجلة (إبداع)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج (١٧)، ع(٤)، ١٩٩٩م.
- توفيق، زكريا محمد: المفارقة في مقامات السيوطي (المقامة الدرية نموذجًا)، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، (الإصدار الرابع)، مصر، مج (١١)، ع(٢٠)، ٢٠٠٣م.
- الحياتي، محمود خليف خضير: المفارقة الدرامية في شعر أدونيس، مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعي ذي قار، العراق، ع(١٤)، ٢٠١٥م.
- الرديني، رائد فؤاد طالب: المفارقة في شعر الجنوسة في القصيدة العربية المعاصرة: دراسة تطبيقية، مجلة (العربية والترجمة)، السنة الثامنة، ع(٢٧)، ٢٠١٦م.
- الركابي، فليح كريم: المفارقة والمفاجأة في شعر أحمد مطر، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع (٦٦)، ٢٠٠٤م.
- الرواشدة، سامح عبد العزيز: المفارقة في شعر أمل دنقل، مجلة دراسات- العلوم الإنسانية، الأردن، مج (٢٢ أ)، ج(٦)، ١٩٩٥م.
- السعدية، نعيمة: شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة، ع (١).
- سليمان، خالد: نظرية المفارقة، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، الأردن، مج٩، ع٢، ١٩٩١م.
- ـــــــــــ المفارقة في شعر محمود درويش، أبحاث اليرموك- سلسلة الآداب واللغويات- الأردن، مج١٣، ع(٢)، ١٩٩٥م.
- أبو شارب، مصطفى فتحي: المفارقة وأبعادها الدلالية في شعر جرير: دراسة نظرية تطبيقية، مجلة (فكر وإبداع)، مصر، ج٨٠، نوفمبر ٢٠١٣م.
- الشافعي، محمد علي فرغلي: المفارقة في التراث البلاغي: صورها وأحكامها، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر، ع(٢٦)، ج(٥)، ٢٠٠٧م.
- العازمي، خلف مطلق: المفارقة لدى شعراء خراسان في العصر العباسي، سلسلة دراسات عربية وإسلامية، مركز اللغات الأجنبية والترجمة بجامعة القاهرة، ج٤٣، ١٩٨٣م.
- العتوم، كامل يوسف: المفارقة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، مج (٦)، ع(٤)، ٢٠١٠م.
- فاعور، منيرة محمد: بلاغة الأجوبة المُسكتة (الأسلوب الحكيم نموذجًا)، مجلة جامعة دمشق، مج (٣٠)، ع (٣-٤)، ٢٠١٤م.

- ـــــــــــــــــ الحضور البلاغي في الأجوبة المُسكتة (الإيجاز- الكناية- حسن التحليل- الاقتباس)، مجلة التراث العربي، سوريا، مج (٣٢)، ع(١٣٤-١٣٥)، ٢٠١٤م.
- قاسم سيزا، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة (فصول)، مصر، مج (٢)، ع(٢)، ١٩٨٢م.
- قاسم، محمد عبد الله: ذكاء البيان في الأجوبة المُسكتة في التراث العربي، مجلة (المعرفة)، وزارة الثقافة السورية، ع (٦٤٨)، السنة (٥٦)، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.
- قريميدة، محمد سالم: مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم، المجلة الجامعة، تصدر عن مركز البحوث والاستشارات بجامعة الزاوية، ليبيا، مج (١)، ع(١٦)، فبراير، ٢٠١٤م.
- كوينه، زكريا علي أحمد: المفارقة والتمرد في شعر أمل دنقل، مجلة الدراسات العربية (كلية دار العلوم)، جامعة المنيا، مصر، مج (٣٠)، ع (٢٠)، ٢٠٠٩م.
- محمود، هشام فاضل: المفارقة في الشعر إشكالية المفهوم والرؤية، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، مج(١)، ع(٢)، ٢٠١٠م.
- المقداد، محمود فارس: الأجوبة المُسكتة في العصر الأموي: محاولة تنظير وتأصيل لنوع أدبي نثري في مرحلة التأسيس، مجلة التراث العربي، سوريا، ع(١٣٨-١٣٩)، ٢٠١٥م.
- الهاشمي، أثير محسن: آلية المفارقة: تعريفها، أنواعها، طريقة بنائها، مجلة ثقافتنا، وزارة الثقافة، العراق، ع (١٢)، ٢٠١٣م.
- الياسين، إبراهيم منصور، والخلفات، خالد سليمان: صور من المفارقة في الرسالة الهزلية لابن زيدون، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، مج (٩)، ع(٢)، ٢٠١٣م.

خامساً: المراجع الإلكترونية:

- سبقاق، صليحة: المفارقة في الشعر العربي الحديث بين سلطة الإبداع ومرجعية التنظير، جامعة سطيف، الجزائر، بحث منشور على الرابط:
- http://www.univ-chlef.dz/rlf/wp-content/uploads/٢٠١٧/٠٤/Article٨-N٤.pdf